سقاف على الكاف

حقيقة الفرقة الناجية





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتمهيد

الحمد لله المنفرد بالأَحدية ، الهادى إلى الطريق السَّوِيَّة ، القائل ﴿ **إنَّ هذه أُمتكم أُمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون** ﴾[1] .

وأصلى وأُسلم على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، القائل : « المؤْمن للمؤْمن كالبنيان يشُد بعضه بعضاً »[2] والقائل : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[3] ، ويحذرنا من الفرقة بقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »[4] .

أما بعد ، فعندما وُجِدت باكورة الصحوة الإسلامية فى العالم الإسلامى تكالب عليها أعداء الإسلام فى الشرق والغرب وكادوا لها صنوفا من المكايد لكى يفرقوا شمل هذه الأمة ويسلطوا بعضها على بعض فانطلقوا ينقبون فى تراثنا الإسلامى لعلهم يجدون فيه بُغْيَتَهم كما وجد أسلافهم فى الماضى فرصة لتفريق المسلمين ، ولكن سيرتد كيدهم إلى نحورهم كما ارتد كيد أسلافهم إلى نحورهم مادام بأيدينا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ **يريدون أَنْ يُطفِئوا نور الله بِأفواههم ويأبَى الله إلا أن يتم نُورَهُ ولو كره الكافرون** ﴾[5] .

---

(١) الآية رقم ٩٢ سورة الأنبياء .
(٢) أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى .
(٣) أخرجه الشيخان وأحمد .
(٤) متفق عليه .
(٥) الآية رقم ٣٢ سورة التوبة .

ولكون الصحوة الإسلامية وُجِدتْ فى كل بقاع العالم الإسْلامى المترامى الأطراف ، وهو الذى يشكل أكثر من عُشر المعمورة وصعوبة الاتصال بين أقاليمها وعدم وجود الخلافة التى تتولى التوجيه ، نشأت بطبيعة الحال عديد من الحركات ، وذلك بحسب اجتهاد كل جماعة ولا سيما أن الدعاة يتعرضون للاضطهاد من قبل السلطات الحاكمة فى معظم العالم الإسلامى فاضطرهم للعمل السرى وكتمان أمورهم ، وعندما اشتدَّ عود كل حركة وبرزت هذه الحركات على السطح عملت كل حركة على حمل الجماعة الأخرى على اتباعها[١]فى المنهج مدعية أنها هى الفرقة الناجية[٢] ، وسائر الفرق ضالة وبذلك تكون هالكة وفى النار فاستغل الأعداء هذه الدعوات بالفرقة فأذكوها واستأجروا الأقلام الضالة ووعاظ السلاطين لِيُعمِّقوا الفتنة وركَّزُوا فى فتنتهم هذه على كتب[٣] ــ الملل والنحل ــ وتاريخ المذاهب الإسلامية ومن لف لفها من أصحاب المصنفات الإسلامية فى القرون الماضية جاعلين محورهم فى تفريق الأمة الحديث الصحيح وما شابهه ، مثل ما أخرجه الترمذى : « لتأْتِينَّ على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل تفترق على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أُمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلَّا ملة واحدة ، قالوا ما هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى »[٤] ومن خلال متابعتى لهذا الحديث وشروحه وكتب الملل والنحل وتاريخ المذاهب وجدت أنهم جعلوا الفرقة فى أُمة الإجابة أى أهل القبلة وليس لهم دليل فيمــا ذهبوا إليه من فهم سوى إضافة الأمة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : أُمتى ــ أنظر مبحث أمتى فى هذا البحث ــ والأدلة تفيد بأن أمة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم هى جميع البشرية منذ بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قيام الساعة ، والفرقة المذكورة فى الحديث واقعة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، والمقصود هنا الخلود فى النار لا الدخول فيها ، ويتضح لك هذا فى ثنايا هذا البحث وضوحاً جلياً إن شاء الله ، وعندما رأيت تفسير شراح هذا الحديث وأهل

---

(١) انظر مبحث سبب تصنيف هذا الكتاب .

(٢) انظر كتاب : حسين محمد على جابر (الطريق إلى جماعة المسلمين) وكتاب محمد جميل زينو (الفرقة الناجية) .

(٣) انظر المبحث الثالث .

(٤) انظر مبحث الذين كتبوا فى افتراق الأمة من المتقدمين والمتأخرين .

كتب الملل والنحل ينتحون هذا النحو وانتحوت نحواً آخر أى بجعل الفرقة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، رجعت بالاحتكام بينى وبينهم إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قال الله سبحانه فى محكم التنزيل : ﴿**فَلَا وَرَبِّك لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثم لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **يـٰأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر مِنْكُمْ فإِنْ تنـٰزعْتُمْ فى شَىْءٍ فَرُدُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تُؤْمِنُونَ بالله واليوم الآخر ذلك خَيْرٌ وأَحْسَنُ تأْوِيلاً**﴾[2] ـــ وقال تعالى : ﴿ **وإذا جَاءَهُمْ أمْرٌمَنْ الأمنِ أو الخَوْفِ أذَاعُوا به وَلَوْ ردُّوه إلى الرسول وإلى أُولى الأمْرِ منهم لَعلِمَهُ الذين يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهم ولولا فَضْلُ الله عليكُم ورحْمتُهُ لاتَّبعْتُم الشَّيْطَانَ إلَّا قليلاً**﴾[3] وقال تعالى :[4] ﴿ **وما اخْتَلَفْتُمْ فِيه مِنْ شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إلى اللهِ ذَلِكُمْ اللهُ ربِّى عليه تَوَكَّلْتُ وإليه أنِيبُ** ﴾ .

وروى عبد الله بن عمــرو ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وأبو نصر السجزى فى الإبانة وقال حسن غريب والخطيب التبريزى وقال فيه الإمام النووى فى أربعينه هذا حديث حسن صحيح ورويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح .

وما ذهب إليه شراح حديث افتراق الأمة سالف الذكر وأهل كتب الملل والنحل ليس له دليل من كتاب ولا سنة ، وسيتبين ذلك لك فى ثنايا البحث ، ولينظر طالب الحق فيمــا وافق كتاب الله وسنة رسوله فيعتقده صحيحاً لا شبهة فيه ويعمل به ويلتزمه وفيمــا جاء عنه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن له فيهما ما يؤيده ويثبت صحته فينبذه ولا يلتفت إليه بل يؤمن ببطلانه ويعمل على تغييره ، ومن ادَّعى قولا بلا دليل فإنه يقول على الله الكذب .

(١) ـــ وهذا أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ، يضرب لنا مثلاً فى الرجوع لكتاب الله ـــ فى قضية تحديد المهور ـــ كما ورد فى حديثه وهو بعد ما

---

(١) (٢) (٣) : الآيات ٥٩ ـــ ٦٥ ـــ ٨٣ ـــ سورة النساء .

(٤) آية رقم ١٠ سورة الشورى .

خطب الناس ، ناهياً عن المغالاة فى أصْدَاق النساء وألّا يزدن على أربعمائة ، فقالت امرأة من قريش : « يا أمير المؤمنين : أكتاب الله أحق أن يتبع أو قولك ؟ قال : بل كتاب الله ، فما ذاك ؟ قالت : نهيتَ الرجال آنفاً أن يتغالوا فى صُدُق النساء ، والله يقول فى كتابه : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً** ﴾ ورواية عبد الله بن مسعود ـــ قنطاراً من ذهب ـــ فقال عمر : « كل أحد أفقه من عمر » مرتين أو ثلاثاً ، ثم رجع إلى المنبر ، فقال للناس ، إنى كنت نهيتكم أن تغالوا فى صداق النساء ، ألا فليفعَلْ رجل فى ماله ما بدا له .

أخرجه أبو يعلى فى المسند الكبير بسند جيد ورواه البيهقى فى سننه بسند جيد وعبد الرزاق والزبير بن بكار وابن المنذر ـــ نقلناه بتصرف انظر المقاصد للسخاوى وكشف الخفاء للعجلونى .

(٢) ـــ وذكر لنا ابن القيم فى كتابه السياسة الشرعية(١) مقالة حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما حيث قال : « يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر » ، وكذلك سيدنا ابن عمر رضى الله عنهما ، كانوا إذا احتجوا عليه بأبيه يقول إن عمر لم يرد ما تقولون فإذا أكثروا عليه قال : أَفَرَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحق أن يتبع أم عمر ؟ ، فانظر إلى ابن عباس وإلى ابن عمر يُرُدَّان قول خليفتى رسول الله وخير خلقه بعد نبيه إذا ذكر قول لهما وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فما بالك بأقوال العلماء إذا تعارضت أقوالهم مع الأصلين إذا لم يأتوا بدليل إلى ما ذهبوا إليه فهو أجدر بالردِّ .

(٣) ـــ وأخرج الطبرانى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال : « كل يؤْخذ من قوله ويترك إلا قول صاحب هذا القبر » .

(٤) ـــ وذكر الغزالى فى إحياء علوم الدين قول الإمام مالك بن أنس الأصبحى ـــ إمام دار الهجرة ـــ : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا قول صاحب هذا القبر .

---

(١) السياسة الشرعية لابن القيم ص ١٨

(٥) ــ وقال الإمام الشافعي المطلبي القريشي فى قولته المشهورة : « إذا صح الحديث[١] فهو مذهبي ، وارموا بقولي عرض الحائط » ، فإذا كان هذا أحد أئمة أهل السنة بل أئمة الإسلام يطلب أن يرمى قوله عرض الحائط ، إذا خالف حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن باب أولى من كان دونه من العلماء والمؤلفين .

(٦) ــ وقال الإمام الشافعي رضى الله عنه ، فيما رواه الحميدى[٢] شيخ البخارى ، عندما حدث الشافعي بحديث قال له : أتأخذ به ، فقال الشافعي : « رأيتني خرجتُ من كنيسة عليَّ زنار ؟ حتى إذا سمعت لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثاً لا أقول به ؟ ! » .

(٧) ــ وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة ، حيث نقل عنه فى كتاب روضة العلماء ، قيل لأبى حنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال : اتركوا قولى لكتاب الله ، فقيل إذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يخالفه ؟ فقال : اتركوا قولى لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(٨) وقال الإمام أحمد رضى الله عنه : « من رَدَّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شَفا هَلَكة »[٣] ، ذكره ابن الجوزى فى كتاب مناقب الإمام أحمد ص ١٨٢ .

(٩) ــ وذكر ابن القيم فى كتابه السياسة الشرعية صفحة ١٧٤ : « قال شيخنا فى تعليقه على المحرر ويتوجه أن ينتفى حكم الحاكم إذا حكم بخلاف هذه فإنه خالف نص الكتاب العزيز بدلالات ضعيفة .

(١٠) ــ وقول السبكى : فيمن وجد حديثاً صحيحاً لم يعمل به أحد ، هل يسوغ له العمل به ؟ قال رحمه الله فى « معنى قول الإمام المطلبى » ٢ : ١٠٢ : « الأولى عندى اتباع الحديث ، وليْفرضِ الإنسان نفسه بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمع ذلك منه ، أيَسَعَهُ التأخر عن العمل ؟ لا والله ، وكلُّ أحد مكلف بحسب فهمه » .

---

(١) إذا صح وكان صالحاً للعمل به ولم تعترضه أمور وأمور .

(٢) انظر طبقات الشافعي للسبكى .

(٣) انظر تفسيرالمنار للاستزادة فى هذا ــ المجلد الأول ص ٦٧ .

(١١) ـــ وقال الحافظ ابن رجب الحنبلى رحمه الله فى « جامع العلوم والحكم » ص ٧٠ فى شرح حديث « الدين النصيحة » « ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله ـــ وهو مما يختصُّ به العلماء ـــ رَدُّ الأهواء المُضلّة بالكتاب والسنة على موردها وبيانُ دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلها ، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء ، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها » .

(١٢) ـــ وقد سَنَّ لنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، قانوناً فى قولته المشهورة : « لا يُعْرَفُ الحَقُّ بالرِّجال ، اعْرف الحق تَعْرِفْ أَهْلَهُ » .

وبعد أن اطلعت على كلام الأئمة والعلماء بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله فى كل أمر من أمور التشريع فالذى ذهب له كتَّاب الملل والنحل والفرق فى جعل الفُرقة فى أمة الإجابة ، قولٌ بلا دليل والحكم بجعل المسلمين خالدين فى النار فلا يبقى بعد ذلك أمة للجنة ، لأن كل فرقة من الفرق الإسلامية تدعى هى الفرقة الناجية وسائر الفرق والمذاهب الأخرى فى النار وبمقتضى هذا ستكون جميعها فى النار [١] ، وهذا متناف مع كتاب الله وسنة رسوله ، وبينت فى هذا الكتاب أن الأدلة القرآنية والحديثية جميعها سواءً بالمنطوق أو المفهوم تجعل الفرقة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة وسيتضح لك هذا النحو الذى انتحيته وضوحاً جلياً .

فجعلت مرتكزى فى إثبات ما ذهبت إليه استدلالاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى لا يتردد فى نفس القارىء شك بأن الفُرقة واقعة فى أمة الدعوة وأن أمة الإجابة جميعها فى الجنة [٢] مصيراً ، وقد تناولت فى بحثى هذا ذكر سبب تدوين هذا الكتاب ثم من كتبوا فى الفرق والملل والحكم على قولهم بالرد حيث لا دليل معهم ثم أفردت مبحثاً بالأحاديث الواردة فى افتراق الأمة التى جعل أعداء الإسلام لهم مدخلاً لتفريق الأمة الإسلامية ووصلت إلى نتيجة يقينية بأن هذه الأحاديث تدعو لوحدة المسلمين لا لتفرقتهم كما يزعم المغرضون ، ثم أفردت بحثاً مستقلاً لكل جزئية من جزئيات الأحاديث الواردة فى هذا المبحث (وهى عشرة مباحث فلتنظر) ، وأحب أن أنبه هنا لمن أراد الاستفادة من هذا البحث فليقرأه كله حتى تستكمل الصورة فى

---

(١) انظر مبحث النار .

(٢) انظر مبحث الجنة .

ذهنه لأن هذا البحث وحدة واحدة وكل مبحث من مباحثه يشكل فقرة من فقرات عمود هذا البحث ، ولا يخفى بأن الحق واحد والباطل متعدد حيث قال الله سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ **وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُمْ عن سَبِيلِه ذٰلِكُم وَصَّـٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ ـــ ١٥٣ الأنعام .

وألفت نظر القارىء بأننى لم أورد فى هذا الكتاب قائمة بالمراجع مكتفياً بذكرها عند كل موضوع ، وأعتذر لخلو هذا البحث من الأسلوب الأدبى الذى يشد القارىء فمقتضى البحث ألزمنى بذلك .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه الكريم وفى كفة حسناتى يوم الدين ، وغيرة على أمة الإسلام والمسلمين ودعوتهم إلى الوحدة ورص صفوفهم ، وأن يعملوا معاً فيما اتفقوا عليه وليعذر بعضهم بعضاً فيمـــا اختلفوا فيه ، فإن أصبت فهذا من عند الله وإن أخطأت فهو منى ومن الشيطان ، وأسأل الله التوفيق وصلاح القصد ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من دعانا أجمعين للمحجة البيضاء التى ليلها كنهارها ، وعلى آله نجوم الهدى وسفينة النجاة فمن ركبها فقد نجا ومن تخلف فقد هلك وأصحابه أعلام الهدى والنبراس المقتدى الذين أوضحوا لنا شريعة المصطفى وأئمة العلم الذين أقاموا البرهان والحجة على من زاغ وتولى وعلينا معهم وعلى كل من حمل اللواء إلى يوم الدين .

سقاف على الكاف

١٠ رمضان ١٤٠٨ الموافق ٢٦ إبريل ١٩٨٨



بسم الله الرحمن الرحيم

سبب تصنيف هذا الكتاب

عندما برزت الصحوة الإسلامية فى العصر الحديث على شكل جماعة فى عام ١٣٥٦ هجرية الموافق ١٩٢٨ م بعد انهيار الخلافة الإسلامية العثمانية وبعد أن مرت الدعوة بعدة قنوات ومطالبات من قِبَل الدعاة المصلحين مبتدئة بدعوة السيد جمال الدين الأفغانى ، ومن بعده تلميذه الإمام محمد عبده وغيرهم من الدعاة فى أنحاء العالم الإسلامى الذين يصعب حصرهم ومعرفة منهجهم ولكن الجميع يدعون إلى انتشال العالم الإسلامى من التخبط الذى يعيش فيه والعودة به إلى النظام الإسلامى تحت راية لا إله إلا الله ، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، بعد أن أنَّ المسلمون من وطأة القوانين الوضعية التى فرضها عليهم المستعمرون الغربيون من انجليز وفرنسيين وروس وبرتغال وهولنديين أذاقوا العالم الإسلامى مرارة الذل والمهانة ، فعلى أثر الدعوات التى ترددت هنا وهناك غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً لَبَّى المخلصون من أبناء هذه الأمة التى لا تقبل الضيم لتلك الدعوات . ولبعد المسافات بين أقطار العالم الإسلامى ولصعوبة الاتصال بين أقطارها وجد فى كل منطقة ودولة عديد من الحركات . ولما تشكله هذه الدعوة من خطر على الاستعمار الغربى تصدى لها الاستعمار وأعوانه ممن يأتمرون بأمره بالاضطهاد والمطاردة حتى جعلت هؤلاء المخلصين يتخفون بدعوتهم وعلى أثر ذلك نشأت اجتهادات متعددة أوجدت عديداً من المنظمات والجماعات تتراءى للكثير بأنها متناقضة مظهراً وجوهراً ولكنها فى حقيقة الأمر كلها تدعو لحاكمية الله وجعل كتاب الله وسنة رسوله مصدراً للأحكام ونبذ ما سواها من قوانين تتعارض معها ، إلَّا أن أعداء الأمة الإسلامية الذين عرفوا بخبثهم ومكرهم ودهائهم كادوا لهذه الجماعات وفتنوا بينهم حتى جعلوا كل جماعة تكفر الجماعة الأخرى وتوصمها بالخروج من الإسلام وجعلوا لهذه الدسائس ركائز متعددة :

(أ) من مصادر منبثقة من التاريخ الإسلامي الذى يحمل ركاما من الصراعات العقدية والفرعية والسياسية المتمثلة فى الصراعات المذهبية التى تشقق إليها العالم الإسلامى وأوجدت بين كل مذهب وآخر سدودا من الأحقاد والبغض والكراهية بل أعدادا من الضحايا وأنهارا من الدماء (١) .

(ب) ونصَّبوا لتنفيذ هذه الفتنة سيلاً من عملائهم من كافة المستويات من حكام وعلماء ومثقفين وعمال ونساء حتى بلغ بهم أن ظهر الكثير منهم فى مظهر المتدين مطلِقاً لحيته مُعْتماً مرتاداً للمساجد يرصد الجماعات الإسلامية وكثير منهم انخرط فيها وكانت مهمته وضع الأسئلة المثيرة للجدل والتشكيك .

(جـ) وتوجهت مجموعة من هؤلاء الناس الذين بيدهم السلطة بتوجيه ضربات للدعاة الجادين سواء بالقتل أو فَتْح السجون والمعتقلات وتعريض كل من وقع تحت يدهم للتعذيب والابتلاء حتى يميتوا فى نفسه نور دعوة الحق .

(د) وفتنوا الكثير بواسطة الإغراءات المالية والدعايات الإعلامية بوصمهم بالإرهابيين والمتطرفين ويصفونهم أحياناً بعملاء الغرب وأحياناً بعملاء الشرق وأحياناً بالرجعية (٢) ، وكل كلمة نابية منفرة يطلقونها عليهم حتى يُنَفِّروا منهم الناس .

والجماعات الموجودة اليوم فى العالم العربى وشبه القارة الهندية (٣) ، وأما ما عدا تلك البقعتين فالحركات التى فيها تتقارب مع حركة هاتين البقعتين وتتمثل هذه الحركات فى الجماعات الآتية على سبيل التقريب لا الحصر (٤) ــ وهذه الحركات : ــ

١ ــ **الإخوان المسلمون** : التى أسسها الإمام حسن البنا عام ١٣٥٦ هـ الموافق ١٩٢٨ م ، ولها أنصارها فى معظم الأقطار العربية وبعض الأقطار الإسلامية وتلتقى فى توجيهاتها مع الجماعة الإسلامية فى القارة الهندية التى أسسها أبو الأعلى المودودى .

---

(١) انظر كتب الملل والنحل والفرق وتاريخ المذاهب ، والمبحث الذى يلى هذا المبحث .

(٢) انظر كتاب : الطريق إلى جماعة المسلمين لحسين محمد على جابر وعلى الأخص الملحق طباعة دار الوفاء ــ المنصورة .

(٣) اخترناهاتين المنطقتين لأنهما مصدر الحركات وخصصنا مصر بالذات لأنها تتمثل فيها كافة الاتجاهات .

(٤) كمثل حركة حزب السلامة فى تركيا والحركات الإسلامية فى أفغانستان وأندونسيا وماليزيا ونيجيريا =

٢ ــ **الجماعات الإسلامية فى الجامعات** : برزت هذه الجماعات فى كافة الجامعات المصرية فى العقد العاشر الهجرى وسيطرت على الاتجاه الطلابى وكان لها دور فعال إلَّا إنها انقسمت على نفسها فالغالبية منها التزم منهج الإخوان المسلمين والبعض اتجه لجماعة الجهاد .

٣ ــ **حزب الجهاد** : حزب تأسس فى العقد العاشر الهجرى ويؤمن هذا الحزب بالتغيير بالقوة ، ومعظم أنصاره فى صعيد مصر بين أسيوط والمنيا وسوهاج ، ولم يعرف له أنصار فى غير القطر المصرى .

٤ ــ **جماعة أنصار السنة المحمدية** : أسسها الشيخ محمد حامد الفقى عام ١٣٤٥هـ ــ ١٩٢٦ م بالقاهرة ولها أنصارها ببعض البلاد العربية وباكستان والهند وبنجلاديش ويطلقون على أنفسهم « السلفيين » وأصلها بنجد .

٥ ــ **جماعة التبليغ** : جماعة تأسست فى القارة الهندية بمديرية سهادنفور ومؤسسها الشيخ محمد إلياس بن الشيخ محمد اسماعيل الحنفى الكاندهلوى فى حوالى عام ١٣٥٠ هـ تقريباً ولها أنصارها فى معظم البلاد العربية والإسلامية .

٦ ــ **حزب التحرير** : نشأ حزب التحرير فى الأردن حوالى عام ١٣٧٧هـ تقريباً ومؤسسها الشيخ تقى الدين النبهانى ، وله أنصار فى بعض البلاد العربية .

فرع :

جماعات إسلامية صغيرة ظهرت بنشاط وأفكار محدودة ، ومن هذه الجماعات :

١ ــ **جماعة التكفير والهجرة** : تأسست فى حوالى ١٣٩٥ هجرية وعلى رأسها المهندس شكرى مصطفى ، وسميت بالتكفير لأنها تكفر كل من عرضت عليه الدعوة ولم يستجب لهم ويقولون بالهجرة من دار الكفر لدار الإيمان وقد تعرضت هذه الجماعة إلى معارضة العلماء والصحافة لهذا انْحَسَرَ امتدادها ، وتسمى فى الأصل جماعة المسلمين .

= التى لا نعرف عنها سوى النذر القليل من أفكارها وفى الغالب تتفق مع الحركات الرئيسية كالإخوان والتبليغ والسلفية .

٢ ـــ جماعات التوقف والتبين والعزلة الشعورية : هى جماعات صغيرة لم يُعرف مصدر تأسيسها أو قيادتها ، ومنهم جماعات فى مصر اتهموا فى قضية الاغتيالات .

٣ ـــ جماعة القرآن وكفى : وهى جماعة تؤمن بالقرآن فقط ، وهذه دعوة رددها كثير من الأشخاص فى العالم الإسلامى : كالشيخ القاسمى فى ماليزيا والقذافى فى ليبيا وجماعة الشيخ الفرماوى فى مصر وغيرهم كثير ، ويغلب عليهم الحماس الدينى المقترن بعدم فهم الإسلام حتى القرآن نفسه ، لأن القرآن يأمر باتباع السنة وغيرها من مصادر التشريع ، انظر كتب أصول الفقه وانظر كتاب صلة السنة بالقرآن (١) .

٤ ـــ جماعة الشيخ طه السماوى ، الشهير بعبد الله السماوى : من أفكارهم محاربة محلات الخمور وأشرطة الفيديو والسينما . وهى جماعة صغيرة ليس لها وجود إلا فى مصر .

٥ ـــ الحزب الجمهورى بالسودان : مؤسسه المهندس محمود محمد طه ، تأسست حركته فى الخمسينات ودعوته مخالفة للإسلام ويذكر الكثير أنها من الدسائس الغربية (٢) لفتنة الشباب المسلم ، انظر كتاب « حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة » للشيخ محمد نجيب المطيعى ، وهذا الحزب ليس له أتباع سوى فى السودان .

٦ ـــ وتوجد حركات فى لبنان والعراق واليمن والبحرين والكويت منطلقة من تفكير شيعى كحزب الله ومنظمة أمل وحزب الدعوة وغيرها وغيرها .

فرع :

الجمعيات التقليدية الخيرية :

١ ـــ جمعية الهداية الإسلامية بالسويس

٢ ـــ جمعية الشبان المسلمين

---

(١) صلة السنة بالقرآن لفضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى

(٢) كالدعوة القاديانية والبهائية .

٣ ــ جماعة دعوة الحق الإسلامية
٤ ــ الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة
٥ ــ جماعة شباب محمد ﷺ .
٦ ــ مجالس الصوفية والطرق الصوفية منتشرة فى العالم الإسلامى بكاملة تقريباً وتعنى بالأذكار والأوراد وإصلاح الفرد .

وفى حقيقة الأمر فإن معظم المنتمين إلى هذه الحركات التى ذكرناها والتى لم نذكرها يجمعهم جميعاً حبهم لدينهم الإسلامى ويريدون النُّصرة له إلا إن بعض المندسين حَرَّفُوا بعض الحركات عن سيرها السليم وتكالب الأعداء المتعدِّدون المسئولون عن أجهزة الإعلام فى العالم الإسلامى أظهروا تلك الحركات والدعوات بمظهر الفكر المتباين حتى جعلوا هذه الحركات تُوَّجه أسلحتها بعْضها لبعض ، ونسيت أعداءها والأهداف التى أُسست من أجلها وجعلت الخلاف فى الفرعيات يتحكم فى الأصوليات ، بينما هم يعلمون بأن الجزئية لا تَنْقُض الكلية وأن الجزئية مندرجة تحت الكلية فإذا سَلِمَتْ الكليات لا ضير من الاختلاف فى الجزئيات ، وأصول الدين الإسلامى واضحة(١) .

وعندما رأيت هذه الجماعات التى انبثقت فى العصر الحديث وشكلت الصحوة الإسلامية تتصارع على خلافات جزئية وتوجه كل جماعة للجماعة الأخرى اتهامات تصل ببعضها إلى الكفر بهتاناً لأنها اختلفت معها فى الاجتهاد وما كان يؤلمنى أكثر من هذا كله احتجاجهم بأحاديث افتراق الأمة حتى صار كل جماعة تدعى أنها هى الفرقة الناجية(٢) وما عداها فى النار ، محملين رسول الله صلى الله علية وآله وسلم هذا الحكم الجائر لعدم علمهم وسقم فهمهم ، بينما هذه الأحاديث تدعو لوحدة المسلمين أهل كلمة التوحيد وتجعل الفرقة فيمن سواها ، فهذا كله حملنى على تصنيف هذه الرسالة وبيان مدلول الأحاديث التى يَتذَرَّع هؤلاء للاحتجاج بها إلى ما يذهبون إليه من أفكار واتجاهات ، وقد نهانا الله تعالى ورسوله عن الفرقة بالأدلة الآتية :

---

(١) انظر مبحث : ما كنت عليه أنا وأصحابى فى هذا الكتاب .
(٢) انظر كتاب الفرقة الناجية والطائفة المنصورة للأستاذ محمد بن جميل زينو وغيره كثير .

١ ــ ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنٰزعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبُّون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم لِيَبْتَلِيَكُمْ ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ (١٥٢ آل عمران) .

٢ ــ وأطيعوا الله ورسوله ولا تَنَٰزَعُوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦ ــ الأنفال) .

٣ ــ وقول النبى عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، فيما أخرجه ابن ماجه « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

٤ ــ وعن جابر رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كتم حديثاً فقد كتم ما أنزل الله على محمد » أخرجه ابن ماجه .

٥ ــ وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فَلْيُظْهِرْهُ ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » أخرجه الخطيب وابن عدى فى الكامل وابن عساكر فى التاريخ عن جابر رضى الله عنه .

٦ ــ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف » أخرجه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه والتاريخ .

راجياً من الله قبول هذا العمل وجَعْلَه غيرة على شرعه وذَبّاً عن سنة نبيه صلى الله علية وآله وسلم ، ودعوة لوحدة المسلمين والأخذ بأيديهم إلى الهدى المستقيم على طريق سيد الأولين والآخرين برحمة ربنا رب العالمين ونعم المولى ونعم المعين .

✪✪✪✪✪

الذين كتبوا فى افتراق الأمة من المتقدمين والمتأخرين :

عندما وقعت الفتن فى القرن الأول بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت كل جماعة من الجماعات التى تشقفت لها الأمة الإسلامية أخذت كل فرقة تدعى أنها هى الفرقة الناجية والفرقة التى تحمل لواء الحق وترمى من خالفها بالضلالة والخروج من الإسلام ، وعندما تجسدت هذه الفرق فى أوساط العامة نصب كل دعاة مذهب وفكرة لهم منبراً يجسد أفكارهم ودحض أفكار الغير وأخذ الجميع يقيمون الأدلة النقلية والعقلية على صحة ما ذهبوا إليه وفساد ما ذهب إليه خصمهم وصارت هذه القضايا جزءاً من قضايا العامة بل الكثير يعتبرها الدين وأن الدفاع عنها مما كتبه الله عليه ، وبهذا استحلوا دماء بعض فزهقت الأرواح ورُمِّلت النساء ويتم الأطفال وهدمت بلدان وقرى[1] ، ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيما رواه أبو موسى وأبو بكرة : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه ، فالقاتل والمقتول فى النار ، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه » أخرجه الشيخان وأحمد .

ولا نقول فى هذا الصراع الذى حصل بين أُمتنا فى الماضى إلا خيراً ونعتذر لهم بقول سيدنا عمر بن عبد العزيز : تلك أُمة سلمت من دمائها سيوفنا فلتسلم منها ألسنتنا ، وقول بعض السلف : (لا تحمل كلمة من أخيك على محمل الشر وأنت تجد لها وجها فى الخير) وما قاله أصحاب المصنفات فى هذا الموضوع لانحمله إلا على هذا المحمل ونجعلها من نوادر العلماء كما قال الإمام الأوزاعى ، فقد أسند إليه البيهقى فى (سننه الكبرى) ١٠ : ٢١١ أنه قال : (من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام !) . وذكره الذهبى فى (السِّيَر) ٧ : ١٢٥ ، و (التذكرة) ١ : ١٨٠ .

---

(١) انظر تاريخ المذاهب والتاريخ العام فى الكتب الآتية :

(١) البداية والنهاية الجزء ١٤ ص ٧٦ .

(٢) مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ .

(٤) شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٦٠ .

(٥) رسالة الإنصاف للدهلوى ص ١٧ .

ونقل الشيخ الكوثرى رحمه الله تعالى فى تعليقاته على (ذيول تذكرة الحفاظ) ص ١٨٧ عن إبراهيم بن أبى عَبْلَةَ أحد شيوخ الإمام مالك ، أنه قال : (مَنْ تَبِعَ شواذَّ العلماء ضلَّ) ، ورُوى عن ثانى الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : (ثلاثٌ مُضِلاتٌ : أئمة مضلة ، وجدال منافق بالقرآن ، وزلّة عَالِم) وقال الإمام ابن عبد البر فى (الجامع) ٢ : ١١١ (شَبَّه الحكماءُ زلة العالم بانكسار السفينة ، لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير) .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلى رحمه الله فى (جامع العلوم والحكم) ص ٧٠ فى شرح حديث (الدين النصيحة) (ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله وهو مما يختص به العلماء : رد الأهواء المضلّة بالكتاب والسنة على مَوْردها ، وبيانُ دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلَّها ، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء ، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها) .

فإن قلت : فما علامة كون هذا القول زلةً وهفوة ؟ .

قلت : روى البيهقى ١٠ : ٢١٠ خبراً عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وهو من أصدق القول وأحكمه ، قال يزيد بن عميرة أحد سادات التابعين ومن خاصة أصحاب معاذ : كان معاذ (يقول كلما جلس مجلس ذكر : الله حكمٌ عدلٌ . فقال يوماً فى مجلس جلسه : وراءكم فتن يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والحر والعبد ، والرجل والمرأة ، والكبير والصغير ، فَيُوشك قائل أن يقول : فما للناس لا يتبعونى وقد قرأتُ القرآن ؟ والله ما هم بمتَّبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره ! فإياكم وما ابْتِدع ، فإن ما ابتدع ضلالة ، واحذروا زيْفَة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على فم الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق . قال يزيد بن عميرة : قلت له وما يدرينى — يرحمك الله — أن الحكيم يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق يقول كلمة الحق ؟ قال معاذ : اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التى تقول : ما هذه ؟ ولا يُنْئِيَنَّكَ ذلك منه ، فإنه لعله أن يراجع ويلقى الحق إذا سمعه ، فإن على الحق نوراً) .

قال البيهقى : (فاخبر معاذ بن جبل أن زيفة الحكيم لا توجب الإعراض عنه ، ولكن يترك من قوله ما ليس عليه نور ، فإن على الحق نوراً — يعنى والله أعلم — دلالة من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس على بعض هذا) .

وللإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كلام نفيس فى هذا الصدد فى (إعلام الموقعين) ٣: ٣٩٤ فما بعدها ، تكلم فيه على لزوم تجنُّب زلات العلماء ، أنقل منه أوله ، فقد شرح فيه المُوَاءَمَةَ بين لزوم طريق الأئمة وتجنب ما لا يؤخذ به من أقوالهم ، فقال (لابد من أمْرَيْن أحدهما أعظم من الآخر ، وهو النصيحة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه ودينه ، وتنزيهه عن الأقوال الباطلة المناقضة لما بعث الله به رسوله من الهدى والبينات ...

والثانى : معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم ، وأن فضلهم وعِلْمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه ، وما وقع فى فتاويهم من المسائل التى خفى عليهم فيها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا بمبلغ علمهم ، والحق فى خِلَافها : لا يوجب اطِّراحَ أقوالهم جملة ، وتنقُّصَهم والوقيعة فيهم ، فهذان طرفان جائران عن القصد ، وقصد السبيل بينهما ، فلا نُؤَثِّم ولا نعْصِم ... بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة ... ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام ، وإنما يتنافيان عند أحد رجلين : جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم ، أو جاهل بحقيقة الشريعة التى بعث الله بها رسوله ، ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذى له فى الإسلام قدم صالحة وآثار حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان : قد تكون منه الهفوة والزَّلة هو فيها معذور ، بل ومأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتَّبع فيها ، ولا يجوز أن تُهْدَر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين) .

وبعد أن قدمنا هذه النصوص من الاعتذارات لأئمة العلم والهداة الذين ذكروا هفوات العلماء وعدم متابعتها إذا لم يكن لها دليل من مصادر التشريع المتفق عليها بين علماء الإسلام ، ثم نذكر بعضاً ممن كتب عن الفرق وجعلهم الفرقة[1] فى أمة الإجابة لا أمة الدعوة ونسوق أسماء بعض من كتبوا فى ذلك فى القرون الأولى ونقل كلام ابن الجوزى فى تلبيس إبليس فى الفرق التى افترق المسلمون عليها من غير دليل وجعلها من أُمة النار ثم نذكر أسماء ممن كتب فى القرون الأخيرة عن هذه الفرق ، ونسوق قول العزيزى صاحب شرح الجامع الصغير ومن كتب فى ذلك من أهل الفرق والتفاسير والمذاهب تابعوا هؤلاء فيما قالوه ما بين بسط واختصار .

(١) وذلك من غير دليل لا من كتاب ولا سنة ، وسيتضح لك فى ثنايا البحث .

وأول من كتب فى الفرق الإمام أبو الحسن الأشعرى فى كتابه (مقالات الإسلاميين) المتوفى عام ٣٢٤ هـ ، ثم تابعه عبد القاهر بن طاهر البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم) المتوفى عام ٤٢٩ هـ — ثم كتب ابن حزم الأندلسى الظاهرى فى كتابه (الفصل فى الملل والنحل) المتوفى عام ٤٥٠ هـ ، وجاء على أثرهم محمد عبد الكريم بن أبى بكر الشهرستانى فى كتابه (الملل والنحل) المتوفى عام ٥٤٨ هـ — ثم جاء جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى فى تقسيمه للفرق فى أمة الإجابة فى كتابه تلبيس إبليس وهو من وفيات عام ٥٩٧ هـ ، واخترنا قوله فى عد الفرق التى جعلها فى النار من أمة الإجابة ، حيث ذكر فى صفحة ١٩ بعد أن ذكر الأحاديث الواردة فى افتراق الأمة ، انظرها فى المبحث الذى يلى هذا المبحث ، حيث قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فإن قيل ، وهل هذه الفرق مصروفة ؟ فالجواب ، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها ، وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية ، والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية .

وقد قال بعض أهل العلم : أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست ، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتى عشرة فرقة ، فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وانقسمت الحرورية ، اثنتى عشرة فرقة : فأولهم الأزرقية ، قالوا : لا نعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم ، والأباضية قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ، ومن أعرض عنه فهو منافق — والثعلبية قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر — والحازمية قالوا : ما ندرى ما الإيمان ، والخلق كلهم معذورون — والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر — والمكرمية قالوا : ليس لأحد أن يمس أحداً لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل — والكنزية قالوا : لاينبغى لأحد أن يعطى ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه فى الأرض حتى يظهر أهل الحق — والشمراخية قالوا : لابأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين ، والأخنسية قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر — والمحكمية قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر — والمعتزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من

الفريقين ـــ والميمونية قالوا : لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

(وانقسمت القدرية)[١] اثنتى عشرة فرقة : الأحمرية وهى التى زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم . والثنوية : وهى التى زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس ـــ والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية ـــ والكيسانية : هم الذين قالوا لاندرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون ـــ والشيطانية قالوا : إن الله لم يخلق شيطاناً ـــ والشريكية قالوا : إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر ـــ والوهمية قالوا : ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات ـــ والرواندية قالوا : كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً ـــ والبترية : زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته ـــ والناكثية زعموا : أن من نكث بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا إثم عليه ـــ والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها ـــ والنظامية تبعوا إبراهيم النَّظَّام فى قوله من زعم أن الله شيء فهو كافر .

(وانقسمت الجهمية) اثنتى عشرة فرقة : المعطلة[٢] : زعموا أن كل مايقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق ، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر ، والمريسية قالوا : أكثر صفات الله مخلوقة ، والملتزمة جعلوا : البارى سبحانه وتعالى فى كل مكان ، والواردية قالوا : لايدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً ، الزنادقة قالوا[٣] : ليس لأحد أن يثبت لنفسه رباً لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله وما لا يدرك ، لا يثبت .

والحرقية زعموا : أن الكافر[٤] تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقاً أبداً لا يجد حر النار ، والمخلوقية زعموا : أن القرآن مخلوق ، والفانية زعموا : أن الجنة والنار تفنيان ، ومنهم من قال إنهما لم تخلقا ، والمغيرية : جحدوا الرسل فقالوا إنما هم حكام ، والواقفية قالوا : لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير

(١) هم ملة ليسوا من الإسلام بالنص ـــ انظر مبحث النار

(٢) ليسوا مسلمين بالنص ـــ انظر مبحث النار .

(٣) انظر مبحث الزنادقة من هذا الكتاب .

(٤) هؤلاء ينكرون ما كان من الدين بالضرورة وهو نكران حكم قرآنى لقوله تعالى ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ... ﴾ النساء ٥٦ .

مخلوق ـــ والقبرية : ينكرون عذاب القبر والشفاعة ـــ واللفظية قالوا : لفظنا بالقرآن مخلوق .

(وانقسمت المرجئة) اثنتى عشرة فرقة : التاركية ـــ قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به ، فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء . والسائبية ـــ قالوا : إن الله تعالى سيَّب خلقه ليعملوا ما شاءوا . والرابية ـــ قالوا : لا نسمى الطائع طائعاً ولا العاصى عاصياً لأنا لا ندرى ماله عند الله . والشاكية ـــ قالوا : إن الطاعات ليست من الإيمان . والبيهية ـــ قالوا : الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر . والمنقوصية ـــ قالوا : الإيمان لا يزيد ولا ينقص . والمستثنية ـــ نفوا الاستثناء فى الإيمان . والمشبهة ـــ يقولون : لله بصر كبصرى ويد كيدى . والحشوية ـــ جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض . والظاهرية ـــ وهم الذين نفوا القياس . والبدعية ـــ أول من ابتدع الأحداث فى هذه الأمة (١) .

(وانقسمت الرّافضة) اثنتى عشرة فرقة : العلوية ـــ قالوا : إن الرسالة كانت إلى على وإن جبريل أخطأ . والأمرية ـــ قالوا : إن علياً شريك محمد صلى الله عليه وسلم فى أمره . والشيعة ـــ قالوا إن علياً رضى الله عنه وصىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره . والإسحاقية ـــ قالوا : إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبى . والناووسية ـــ قالوا : إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر . والإمامية ـــ قالوا : لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل . فإذا مات بدل مكانه مثله . واليزيدية ـــ قالوا : إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم . والعباسية ـــ زعموا : أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره . والمتناسخة ـــ قالوا : إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ومن كان مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه . والرجعية ـــ زعموا : أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم . واللاعنية ـــ الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى

---

(١) هؤلاء جميعاً أقوالهم تخالف القرآن .

وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم . والمتربصة ـــ تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عصر رجلاً ينسبون الأمر إليه ، يزعمون أنه مهدى هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلاً آخر .

(وانقسمت الجبرية) اثنتى عشرة فرقة فمنهم : المطرية ـــ قالوا : لا فعل للآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل . والأفعالية ـــ قالوا : لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل . والمفروغية ـــ قالوا : كل الأشياء قد خلقت والآن لايخلق شيىء . والنجادية ـــ زعمت : أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم . والمتانية ـــ قالوا : عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسمت به الخير . والكسبية ـــ قالوا : لا يكسب العبد ثواباً ولا عقاباً . والسابقية ـــ قالوا : من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لاتضره ذنوبه والشقى لاينفعه بره . والحبية ـــ قالوا : من شرب كاس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها . والخوفية ـــ قالوا : إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه . والفكرية ـــ قالوا : إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة . والخسية ـــ قالوا : الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم . والمعية ـــ قالوا : منَّا الفعل ولنا الاستطاعة . انتهى .

ثم نذكر قول دار الطباعة المنيرية التى علقت على كتاب تلبيس إبليس فيما نقلناه ، حيث قالت : ليس هناك دليل شرعى يفيد ذلك ولا دَلَّ الفعل على انحصار ما ذكر فى ذلك العدد من غير زيادة ولا نقصان ، وبذلك تعلم ما فى كلام المُصنف فى المخالفة لغيره فى عد الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد فى كتاب .

وأما من كتب فى القرون المتأخرة فى افتراق أمة الإجابة متابعين للسابقين من غير تروٍّ ، أعداد كثيرة نختار منهم :

١ ـــ على بن نور الدين العزيزى ، صاحب كتاب (السراج المنير) شرح الجامع الصغير للسيوطى ، المتوفى عام ١٠٧٠ هـ ، وكذا العلامة الشيخ الحفنى المضاف شرحه مع شرح العزيزى فى السراج المنير شرح الجامع الصغير .

٢ ـــ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى فى كتابه تحفة الأحوزى

فى شرح سنن الترمذى ، المتوفى ١٢٥٣ هـ .

ونسوق لك ما قاله العزيزى فى كتابه ـــ السراج المنير ـــ ص ٢٥٦ الجزء الأول حيث قال : (قوله على ثلاث وسبعين فرقة) وكلها فى النار إلا أهل السنة والجماعة . ا . هـ . بخط الشيخ عبد البر (قوله على ثلاث وسبعين فرقة) ولا نحيط بتفصيلها فالمذكور فى التوحيد ست عقائد منها عقيدة الجبرية والقدرية والحرورية والجهمية والمرجئة والرافضة ، وكل واحدة تفرع عنها اثنا عشر تفاصيلها معلومة عندهم ، قال العزيزى وقال ابن رسلان قيل إن تفصيلها عشرون منهم روافض وعشرون خوارج وعشرون قدرية وسبعة مرجئة وفرقة نجادية وهم أكثر من عشر فرق ولكن يعدون واحدة وفرقة ضرارية وفرقة جهمية وثلاث فرق كرامية فهذه ثنتان وسبعون فرقة .

وظهرت فى هذا العصر أقلام عديدة مشبوهة تريد إذكاء الخلاف بين الجماعات الإسلامية والمذاهب الإسلامية حتى أرادت أن تجعلها تتناحر وتوجه أسلحتها إلى صدور بعض وتترك أعداء الإسلام يثبون على الجميع فصدر فى هذا المجال عديد من الكتب لا تحصى ولا تعد ، منها ما ينبش الماضى ومنها ما يكفر من سواه من الجماعات والمذاهب فليتق الله أصحاب هذه الأقلام فى أمتهم ولا يبيعوا عقيدتهم بثمن بخس بل يطوعون أقلامهم لوحدة المسلمين وتآخيهم بدلاً مما هم فيه من مكر لهذه الأمة ، والله ورسوله دعانا لوحدة المسلمين فى قوله تعالى :(١) ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ ٩٢ ـــ الأنبياء ـــ وقول النبى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام :(٢) « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى ـــ وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :(٣) « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان وأحمد .

وإن هذه الفرق التى ذكرها المصنفون قد اندثرت بل كثيرٌ منها لا أصل لها ، ولم يبق فى هذه الأرض إلا الحق . والحق هنا كلام الله وسنة رسوله ، وقد سَنَّ الله لنا قانوناً ثابتاً لا يتغير ولا يتبدل حيث قال فى محكم التنزيل ﴿ **فأما الزَّبدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فَيَمْكُثُ فى الأرض** ﴾ آية ١٧ ـــ الرعد . فعلينا أن

نتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأن نعض عليهما بالنواجذ ولا نرضى بهما بديلاً ، والله سيعصمنا ويأخذ بنواصينا إلى الخير والحق .

✪✪✪✪✪

الأحاديث الواردة فى افتراق الأمة

أوردنا فى هذا المبحث الأحاديث الواردة فى افتراق الأمة ووضَعْناها على الترتيب الآتى :

١ ــ ما رواه الترمذى
٢ ــ ماروواه أبو داود
٣ ــ ما رواه ابن ماجه
٤ ــ ماروواه أحمد
٥ ــ ثم أتبعنا ذلك بروايات من غيرهم من كتب الأحاديث الأخرى كحديث ابن النجار ومسند الفردرس ومسند أبى يعلى ، وأوردنا فيما رواه أهل السنن وأحمد وأسانيد كل حديث حتى يتبين للمطّلع مكانة هذا الحديث ، والحديث كما لا يخفى مكون من متْن وسند وأما فيما عدا هذه الأحاديث فاكتفينا بقول المصحّحين لها لغرض الاختصار والوصول إلى النتيجة المطلوبة بأيسر السبل .

وهذه الأحاديث صحيحة كما تراها وإن كان فى بعضها شىء من الضعف عند بعض العلماء فإلحاقها بالصحيح يقويها .

ويجد القارىء فى هذا البحث بياناً لكل جزئية من جزئيات هذه الأحاديث توضح المقصود من بيان افتراق الأمة بأن الفرقة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، وأن هذه الأحاديث تدعو لوحدة أمة التوحيد لا فرقتها كما يظن البعض ، ويفسرون هذه الأحاديث بغير مقتضاها .

أحاديث سنن الترمذى

(١) أخرج الترمذى فى صحيحه فى باب الإيمان قال : حدثنا الحسين بن حريث أبو عماد حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أسلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » قال أبو عيسى حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

(٢) أخرج الترمذى قال ، حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الحضرى عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليأتِينَّ على أُمتى ما أتى على بنى إسرائيل[1] تفرقت على اثنين وسبعين ملة وتفترق أُمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة » قالوا : ما هى يا رسول الله ؟ قال : « ما عليه أنا وأصحابى » قال أبو عيسى هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه .

(٣) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليأْتِينَّ على أُمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أُمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وإن بنى إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة » قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال :« ما عليه أنا وأصحابى » قال الترمذى : حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه .

حديثا سنن أبى داود

(٤) عن أبى داود قال : حدثنا أحمد بن حنبل و محمد بن يحيى ، قال حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقية قال حدثنا صفوان نحوه قال حدثنى أزهر بن عبد الله الحرازى عن أبى عامر الهوزانى عن معاوية بن أبى

---

(١) بنو إسرائيل يشمل اليهود والنصارى .

سفيان أنه قام فينا فقال : ألا إن رسول الله قام فينا فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة » .

(٥) عن أبى داود فى باب السنة قال : حدثنا وهب بن بقية عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة »

تعليق : وروى هذه الأحاديث ابن أبى الدنيا عن عوف بن مالك وأبو داود والترمذى كما ترى وكذا الحاكم وابن حبان وصححه ــ انظر كشف الخفاء صفحة ١٦٩ الجزء الأول .

أحاديث سنن ابن ماجه

(٦) عن ابن ماجه فى باب الفتن قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

(٧) عن ابن ماجه قال : حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى حدثنا عياد بن يوسف حدثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة واحدة فى الجنة وسبعون فى النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة والذى نفس محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة واحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار » قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : « الجماعة » .

(٨) عن ابن ماجه ، قال : حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أُمتى ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة » .

أحاديث مسند أحمد

(٩) حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز يعنى الماجشون عن صدقة بن يسار عن العميرى عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بنى إسرائيل قد افترقت على ثنتين وسبعين فرقة وأنتم تفترقون على مثلها كلها فى النار إلا فرقة » .

(١٠) حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا خالد ابن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة » قالوا : يا رسول الله ، من تلك الفرقة ؟ قال : « الجماعة » .

(١١) حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « افترقت اليهود على إحدى أواثنين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

وذكر الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى فى كتابه الفتح الربانى صحة هذه الأحاديث وقال إن لها شواهد عديدة ، وهى المذكورة فى هذا المبحث .

حديثا ابن النجار

(١٢) وصححه الحاكم بلفظ غريب وهو : « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة » وفى رواية عن الديلمى : « الهالك منها واحدة » قال العلماء هى الزنادقة . انظر كشف الخفاء .

(١٣) وذكر بهامش الميزان عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة » وفى رواية عنه أيضاً « تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إنى أعلم أهداها ، الجماعة » وبهامش الميزان كما ذكره إسماعيل العجلونى فى كشف الخفاء بأنه مذكور فى تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر ولفظه :

(١٤) تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة » أسنده عن أنس قال : أخرجه أبو يعلى .

(١٥) ومن وجه آخر عن أنس بلفظ أهداها فرقة : الجماعة . أخرجه أبو يعلى .

وفى الباب أحاديث لعبد الله بن عباس وسعد بن أبى وقاص وأبى الدرداء ووائلة وأبى أمامة .

وشهد لهذه الأحاديث ، حديث البخارى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

تنبيه

الجمع بين الروايات السابقة

قد يحدث إشكال عند البعض فى اختلاف منطوق الأحاديث الواردة فى الباب ، حيث ورد فى أحاديث الترمذى وأبى داود وابن ماجه وأحمد التعدد فى أمة الدعوة وورد فى ما رواه ابن النجار ومسند الفردوس ومسند أبى يعلى التعدد فى أمة الإجابة وإيضاح ذلك لإزالة الإشكال بأن الأمة تنقسم إلى قسمين : أمة إجابة وأمة دعوة ــ والكفر كما ورد ملة واحدة والإسلام ملة واحدة ، فإذا ورد التعدد فى الفريقين فكان المقصود الغاية . والغاية : من هم أهل الجنة ؟ ومن هم أهل النار ؟ فمن كان على كلمة التوحيد كما ستجده فى البحث فهم أهل الجنة ، ومن كان خلاف ذلك فهم أهل النار ، ومصير البشرية جمعاء جنة أو نار ــ انتهى .

ولابد لمعرفة هذه الأحاديث وما تضمنته من مفاهيم بمقتضى منطوقها ومقتضى الأدلة الثابتة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، من معرفة جزئيات هذه الأحاديث ولهذا أفردنا لكل جزئية مبحثاً يوضحها ويبين مقصود الشارع منه وجزئياتها هى :

١ ـــ اليهود أو بنو إسرائيل .
٢ ـــ السبعون فرقة .
٣ ـــ النصارى .
٤ ـــ الأمة (أمتى) .
٥ ـــ الملة .
٦ ـــ ما أنا عليه وأصحابى .
٧ ـــ النار .
٨ ـــ الجنة .
٩ ـــ الجماعة .
١٠ ـــ الزنادقة .

وقد يتفرع بعض هذه المباحث إلى عدة فروع ، نسأل الله أن يسدد مقالنا ويجعله لوجهه الكريم ، وينفع به كل من قرأه ويهديه إلى طريق الحق .

✪✪✪✪✪

المبحث رقم (١)
بنو إسرائيل أو اليهود

إسرائيل فى اللغة معناها عبد الله وهو اسم ليعقوب واليهود نسبة لرهط فى بنى إسرائيل وقيل هودا : أى يهودا جمع هائد : التائب الراجع ، مشتق من هاد إذا تاب .

وإسرائيل لقب ليعقوب بن إسحاق أى عبد الله واليهود فى هذا الحديث هم الذين يدعون بأنهم أتباع نبى الله موسى عليه السلام ومشوا على شرعته ولم يأت نبى الله موسى إلا بعد عديد من الرسل من بنى إسرائيل دعوهم إلى عبادة الله وإلى دعوة الإسلام التى دعا بها أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم ، ولكن بنى إسرائيل حرفوا تلك الأديان وجعلوها من الكثرة حتى لا تقع تحت حصر وما زالوا على هذه الطبيعة من بث أنفاثهم السامة إلى يومنا هذا ، فإذا ألقيت نظرة على ما يبتكرونه من عقائد ونحل ضالة كدعوة الشيوعية لليهودى كارل ماركس ودعوة دارون التى استغلها اليهود فى نظرية النشوء والارتقاء ودعوة فرويد فى عزوه جميع تصرفات الإنسان إلى الشهوة الجنسية وكذا أفكارهم من خلال الدعوة الماسونية والعلمانية .

وصدق الله سبحانه وتعالى الذى وصفهم بمحاربتهم لله تعالى ومحاولتهم لإطفاء نور الإيمان فى الأرض حيث قال تعالى ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفوٰههم ويأبى الله إلا أنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولو كَرِهَ الكـٰفرون** ﴾ (٣٢ — التوبة) . وعندما أتى سيدنا موسى وجد نحلاً عديدة من عبدة الأوثان والأصنام والنجوم والإنسان والجان والنار وأصحاب الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية(١) ،

(١) انظر كتب الملل والنحل ، وتلبيس إبليس لابن الجوزى ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ أبو الحسن الندوى .

فجاء سيدنا موسى برسالة التوراة التى أنزلت عليه من رب العزة وفيها هداية البشرية وتدعوهم إلى الإسلام وتوحيد الله والاعتصام بحبله وما إن فارقهم سيدنا موسى لمناجاة ربه حتى انقسموا عليه وتابعوا السامرى الذى صنع لهم العجل ليعبدوه وتنكبوا لكل النعم التى امتن الله بها عليهم من نجاتهم من فرعون وعبورهم البحر وإطعامهم المنَّ والسلوى وتفضيلهم على العالمين وغيرها من أشكال المن، وواجهوا سيدنا موسى بالكفر فخاطبهم الله سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل فى قوله ﴿ **وقال موسىٰ إنْ تكفُروا أَنتم ومن فى الأرض جميعاً فإنَّ الله لَغَنِىٌّ حَميد** ﴾(١)

وما إن توفى موسى نبى الله حتى عكف أحبار اليهود على تحريف التوراة، ووصف الله تعالى فى القرآن الكريم فعلتهم هذه فى قوله تعالى: ﴿ **من الذين هادوا يُحرِّفُون الكَلِمَ عن مواضعه ويقولون سَمِعْنا وعَصَيْنا واسْمَع غَيْرَ مُسْمَع ورٰعنا ليا بألسنتهِمْ وَطعْنا فى الدِّين ولوْ أَنَّهم قالوا سمِعْنا وأَطعْنا واسْمَعْ وانظرنا لكان خَيْراً لهم وأَقْوَمَ ولٰكِن لعنهُمْ الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً** ﴾(٢) وفى قوله تعالى: ﴿ **يـٰٓأيها الرسولُ لا يحزُنْكَ الَّذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا ءَامَنَّا بِأَفْواهِهِمْ ولم تُؤمنْ قُلوبهم ومن الذين هَادُوا سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِب سمَّٰعُون لقوم ءَاخرِينَ لَمْ يأْتُوكَ يحرفون الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِه يقُولُونَ إنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوه وإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحذَرُوا ومن يُرِدْ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِن ٱللهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللهُ أَنْ يطهر قُلُوبَهُمْ لهم فى الدُّنيا خِزْىٌ وَلَهُمْ فى الآخِرةِ عَذابٌ عظيمٌ** ﴾(٣) — ولغريزة الخبث الذى فيهم كفروا بهذه الأنعم وارتدوا عن عبادة الله، فأرسل لهم الله سبحانه سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام الذى أضاف للإحدى وسبعين فرقة فرقة أخرى وهى فرقة النصارى من بنى إسرائيل وهؤلاء اليهود عرضوا هذا النبى للأذى وأتباعه من النصارى حتى زعموا بأنهم قتلوه وصلبوه وكذبوا حيث قال الله تعالى: ﴿ **وقولهم إنَّا قتلنا المسيحَ عِيسَى ٱبنَ مَرْيَمَ رسُولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولٰكِنْ شُبِّهَ لَهمْ وإن الَّذِينَ ٱخْتَلفُوا فِيهِ لفى شَكٍّ منْهُ مَا لَهُمْ به من عِلْم إلَّا ٱتِّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوهُ يَقِينا** ﴾(٤) وقد وصفهم

---

(١) الآية رقم ٨ سورة إبراهيم.

(٢) الآية رقم ٤٦ سورة النساء.

(٣) الآية رقم ٤١ — سورة المائدة.

(٤) الآية رقم ١٥٧ — سورة النساء.

الله بكثرة جرائمهم من قتلهم الأنبياء حيث قال تعالى ﴿ **ضُرِبتْ عَليهِمُ الذِّلَّةُ أيْنَ مَا ثُقِفُوا إلَّا بِحَبلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وضُرِبَتْ عليهِمُ المسكَنَةُ ذلِكَ بأنَّهمْ كانوا يكفرون بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ويقْتُلُونَ الأَنبياَء بِغَيرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكانُوا يَعْتَدُون** ﴾[1] وعندما بشَّر سيدنا عيسى بنى إسرائيل بنبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام طمعت بنو إسرائيل أن يكون هذا النبى منها ، فلما أتى نبينا محمد من بنى إسماعيل كادوا له ومكروا وكفروا به مع علمهم بانطباق صفات النبوة عليه فى كتبهم التى بين أيديهم ولهذا أغلظ الله سبحانه وتعالى عليهم ورسوله الوعيد الشديد بالنار والخلود فيها لأنهم يعرفونه ويعرفون دينه كما يعرفون أبناءهم ولهذا فإن النبى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حذر أمة الإسلام من اتِّباعهم والانصياع لأفكارهم وجعل الله سبحانه وتعالى فى فاتحة الكتاب التى نتلوها كل يوم فى صلاتنا مرات عديدة عند قوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم**[3] **ولا الضالين**[4] ﴾ ويوضح ذلك الحديث[5] الذى رواه عدى بن حاتم أنه قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ قال : « هم اليهود » ﴿ **ولا الضالين** ﴾ قال : « النصارى » وذلك لأنهم علموا الحق وأعرضوا عنه .

وهؤلاء اليهود من أهل النار ، خالدين فيها لعلمهم بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالإسلام وإعراضهم عن الإيمان به بل معاداته والكيد له وللإسلام ويثبت ذلك قول النبى عليه الصلاة والسلام لما رواه أبو هريرة وهو : « والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة ولا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » أخرجه مسلم وأحمد .

ооооо

---

(١) الآية رقم ١١٢ ـــ سورة آل عمران .

(٢) وهم المسلمون .

(٣) وهم اليهود .

(٤) وهم النصارى .

(٥) الحديث أخرجه أحمد والترمذى .

المبحث رقم (٢)
السبعون فرقة

منذ أن برأ الله الخليقة على هذه الأرض أرفقها بدعوة الحق ، ودعوة الحق هى دعوة الإسلام فقد أرسل على مر الأوقات والدهور أنبياء يدعون إلى عبادة الله والهدى لطريقه ولكن البشرية كلما أتاها نبى من الأنبياء وأقامها على الجادة انحرفت بعد وفاة هذا النبى المرسل من الله وقد ذكرنا الاستدلال على ذلك فى مبحث رقم (٦) تحت عنوان ـــ ما أنا عليه وأصحابى ـــ والعدد فى هذا الحديث أى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم . افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة فهذا العدد للكَثْرَة لا للتحديد وتستعمل ذلك العرب فى كثير من المواضع لغرض التكثير لا التحديد ، انظر فى ذلك كلام المفسرين عند قوله تعالى : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ (٨ ـــ التوبة) .

ولا يكون العدد مقصوداً إلا إذا قيد وأوضح ذلك ابن كثير فى تفسيره حيث قال ما نصه (وقد قيل إن السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم لأن العرب فى أساليب كلامها تذكر السبعين فى مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها) وقال الزمخشرى السبعون جرى مجرى المثل فى كلامهم للتكثير ، ويشهد لذلك ما ورد فى محكم التنزيل فى الآية المذكورة أعلاه ، وقوله تعالى : ﴿ **ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه** ﴾ الآية (٣٢ الحاقة) وقوله تعالى للكثرة : ﴿ **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ (١٥٣ الأنعام) والسبل الضالة غير محصورة والحق واحد ، ومن السنة المطهرة قول النبى عليه وآله الصلاة والسلام عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إلـــه

إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى . وقوله عليه الصلاة والسلام عن أبى هريرة ، حيث قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان » أخرجه البخارى .

وإن من المعلوم أن شُعَبَ الإيمان تعد بالمئات إذا لم تكن بالآلاف ، انظر فى ذلك كتب شعب الإيمان للبيهقى وغيره وذكر هنا العدد لكثرتها لا لتحديدها كما تراه فى الحديثين ، وأتى فى حديث بضع وسبعون وفى حديث بضع وستون وهذه دلالة بينة على عدم قصد العدد .

ومن السنة أيضاً قول النبى عليه الصلاة والسلام : « أنتم توفون سبعين أمة » أخرجه أحمد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة » رواه البخارى — وفى رواية مائة مرة ، ويستدل من هذا بأن العدد ليس مقصوداً لوروده مرة بسبعين ومرة بمائة ولأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يستغفر الله سبعين أو مائة فى اليوم والليلة بل مئات المرات ، وذكر السبعين هنا للكثرة بحسب أسلوب العرب ولا هناك مقيداً يفيد تحديد العدد .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الربا نيف وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » أخرجه ابن ماجة .

والربا كما لا يخفى أن أبوابه متعددة وعدد أنواعه العلماء إلى مئات من الأصناف ، ويتضح ذلك من سياق الحديث نفسه ، ومن قول أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : وددت لو أن رسول الله أوضح لنا ثلاث مسائل ومنها أصناف الربا لأنها لاتقع تحت حصر .

وذكر ابن كثير فى تفسيره عن المنهال بن عمر قال : إذا قال الله تعالى : خذوه ، ابتدره سبعون ألف ملك ، إن الملك منهم ليقول هكذا ، ويلقى سبعين ألفاً فى النار (رواه ابن أبى حاتم) .

ومعنى قول النبى افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة أى كانت البشرية

تَعُجُّ بعديد من الفرق والنحل حتى أتى سيدنا موسى فزاد ملة وهى أمة الإجابة الذين أجابوا دعوة التوحيد التى أتى بها سيدنا موسى ، ويظهر لك كثرة النحل من قبل ديانة سيدنا موسى فى كتب الملل والنحل ومنها كتاب الشهرستانى وكتاب أبى الحسن الندوى ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ذكر مئات من النحل والملل فى كتابه من بين عُبَّاد للأوثان وللإنسان والنجوم والجان والنار والأرواح والحيوان والعقول العشرة عند اليونانيين وغيرها من هذه الملل والنحل التى أحصيت والتى لم تذكر فى المدونات ، إما للجهل بها أو لقلة أَتْبَاعِها وهؤلاء جميعاً من أمة الدعوة ودخل بينهم بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أهل الكتاب اليهود والنصارى بعد أن حرفوا دينهم وجعلوا العبادة لغير الله بالشرك أو الوثنية بأن جعل اليهود عزيراً ابن الله وعبدوا العجل وجعل النصارى عيسى ابن مريم ابن الله وقالوا بالأقانيم الثلاثة وعبدوا الصليب .

✪✪✪✪✪

المبحث رقم (٣)
النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة

النصارى اسم لملة يعتنقها اليوم قرابة ألف مليون نسمة فى أنحاء الأرض ، وسُمِّيت هذه الملة بالنصرانية عندما بعث الله تعالى رسوله المسيح عيسى ابن مريم إلى بنى إسرائيل حيث قال الله تعالى ﴿ **وإذ قَالَ عِيسَى آبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِى إِسْرَٰءِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَٰةِ ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى آسْمُهُ أَحْمدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[١] .

١ ــ وجاءهم عيسى ابن مريم بدعوة الحق وهى الإسلام حيث قال الله تعالى فى محكم التنزيل على لسان الحواريين ﴿ **وإذ أَوْحَيْتُ إلى الحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوآ ءَامَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنا مسلمون** ﴾[٢] .

٢ ــ واختلفوا فى عيسى عليه السلام فمنهم من جعله هو الله ومنهم من جعله ابن الله ، وأجاب القرآن الكريم عن مزاعمهم الظالمة فى عديد من الآيات ومنها سورة الإخلاص .

٣ ــ فقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم فى محكم التنزيل بقوله تعالى : ﴿ **وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لهم وإِنَّ الَّذين اختلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْه مَالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا آتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينا . بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إليه وكان اللَّهُ عَزِيزاً حَكيماً** ﴾[٣] .

---

(١) الآية رقم ٦ ــ سورة الصف .
(٢) الآية رقم ١١١ سورة المائدة .
(٣) الآيات رقم : ١٥٧ ، ١٥٨ سورة النساء .

وذلك لما انحرفت بنو إسرائيل عن دين نبى الله موسى ، فنادى فيهم رسول الله عيسى ابن مريم قائلاً : من أنصارى إلى الله ، قال الحواريون : نحن أنصار الله ، فبهذا أضافوا الفرقة الثانية والسبعين وهى فرقة الإجابة من أمة سيدنا عيسى وبعد أن رفع سيدنا عيسى ابن مريم حرف النصارى فى دينهم وأدخل عليهم بولس[١] وغيره تعاليم وثنية حيث جعل قاعدة العقيدة النصرانية التثليث بدلاً من توحيد الله سبحانه وتعالى ، وقالوا بالأقانيم الثلاثة باسم الأب والأبن والروح القدس وجعلوا فى صلب العقيدة النصرانية الإيمان بالصَّلب والفداء وكلا الأمرين لم يأت بهما رسول الله عيسى ابن مريم وأدخلوا فى كتب الأناجيل السبعين[٢] عديداً من الافتراءات على الله وعلى رسوله سيدنا عيسى ابن مريم ، ومحوا الكثير من آيات الله التى وردت فى الإنجيل وبين لنا الله سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل هذا التحريف الذى فعله هؤلاء القدِّيسون كما يسمونهم حيث قال الله تعالى : ﴿ **وإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مريم ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ما يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فى نَفْسى وَلَآ أَعْلَمُ ما فى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ** ﴾[٣] وأدْخَل اليوم هؤلاء النصارى فى أذهان المسلمين المعاصرين الذين تربوا فى جامعاتهم وتأثروا بأفكارهم بأنهم اتباع المسيح ابن مريم حيث اطلقوا على أنفسهم مسيحيين وغزت هذه التسمية حتى وسائل المعرفة المكتوبة والمسموعة والمرئية بينما بَيَّنَ الله ورسوله فى كتابه العزيز والسنة المطهرة نفى نسبتهم إلى المسيح ولم ترد فى القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أى صلة لهم بالمسيح بل سموا نصارى ومن أراد معرفة هذه الملة بتفسير أوسع فعليه بالرجوع إلى الكتب الآتية :

١ ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ــ لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٢ ــ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ــ لابن القيم .

٣ ــ دائرة معارف القرن الرابع عشر ــ الأستاذ محمد فريد وجدى .

---

(١) بولس يهودى عاش حوالى ٦٤ عام ميلادى تقريباً تقمص النصرانية وأدخل عليها التحريفات وكان اسمه شاول وكان يعذب النصارى وفى قصة أسطورية اعتنق النصرانية وأدخل عليها التحريف والعقائد الوثنية .

(٢) ارجع إلى مناظرة الشيخ أحمد ديدات مع القس جيمس وَكَتْ

(٣) الآية رقم ١١٦ سورة المائدة .

٤ ــ محاضرات فى النصرانية ــ للشيخ محمد أبو زهرة .
٥ ــ صور من عقائد أهل الأرض تأليفات مع توفيق محمود المحامى .
٦ ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ لأبى الحسن الندوى .

ومعتنقو هذه الملة فى النار إذا علموا بدعوة الإسلام ولم يؤمنوا بها لقول النبى عليه وعلى آله أتم الصلاة والتسليم : « والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة ولا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » أخرجه مسلم وأحمد عن أبى هريرة ــ وما استشهد به عبد الله بن رواحة رضى الله عنه أمام النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأقره عليه ، البيت الآتى :

شَهِدْتُ بأَنَّ وعْدَ اللهِ حقٌ وأَنَّ النَّارَ مثْوَى الكافِرينَ

٥٥٥٥٥

المبحث رقم (٤)

أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة

والأمة فى اللغة : قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة أمم فى صفحة ٢٦ الجزء ١٢ ، طبعة دار صادر ، نقلاً عن الليث الأمة كل قوم نسبوا إلى نبى فأضيفوا إليه فهم أمته وقيل أُمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كل من أُرسل إليه ممن آمن به أو كفر .

وقال فى تاج العروس : والأمة بالضم القرن من الناس ، يقال قد مضت أمم أى قرون .

وقال الإمام الراغب الأصفهانى فى المفردات صفحة٢١ : (الأمة : كل جماعة يجمعهم أمرٌ ما : إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً) وجمعها أمم .

وأتت الأمة فى القرآن الكريم بمعان متعددة منها :

١ ــ الصنف من الناس والجماعة كقوله عز وجل : ﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ (البقرة ٢١٣) .

٢ ــ وتأتى الأمة بمعنى الإمامة والربانى ، كقوله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً** ﴾ (النحل ١٢٠) .

٣ ــ وتأتى الأمة بمعنى جماعة العلماء الذين يدعون إلى الله ، كقوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير** ... ﴾ (آل عمران ١٤) .

٤ ــ وتأتى بمعنى الدين لقوله تعالى : ﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ (المؤمنون ــ ٥٢) .

والأمة فى هذا المبحث تأتى بمعنيين : عام ــ وخاص :

أولاً : الأمة بالمعنى العام :

وهى كافة البشرية والجن من حين بعثة نبينا محمد إلى قيام الساعة أبيضهم وأسودهم وعربهم وعجمهم الناطقين الضاد وغير الناطقين بها ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل للناس كافة ، حيث أضافها إليه ، والإسلام ناسخ لسائر الأديان وسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو خاتم النبيين ، وتوضح ذلك الأدلة الآتية :

١ ــ قول الله تعالى : ﴿**وقل للذين أوتوا الكتـٰب والأميينَ ءَأسلمتم فإن أسلموا فَقَدِ اهتَدَوا وإن تَوَلَّوْا فإنما عليْكَ البَلَـٰغُ والله بصير بالعباد**﴾ (آل عمران ٢٠) .

٢ ــ وقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثر النَّاس لايعلمون** ﴾ (سبأ ٢٨) .

٣ ــ وقوله تعالى : ﴿ **ومن يكفر به مِن الأحْزاب فالنَّار موْعدُهُ فَلا تَكُ فِى مِرْية منه** ﴾ (هود ١٧) .

٤ ــ وقوله تعالى : ﴿ **قل يـٰأيها الناس إنِّى رسول الله إليكم جميعاً ...** ﴾ (الأعراف ١٥٨) .

٥ ــ وقوله تعالى : ﴿ **تبارك الذى نزَّل الفُرْقَانَ على عبده ليكون لِلْعَـٰلَمِينَ نذيراً** ﴾ (الفرقان ــ ١) .

٦ ــ ومن السنة المطهرة قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تُحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » متفق عليه .

٧ ــ وأخرج مسلم وأحمد واللفظ لأحمد عن أبى هريرة ، عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ، يهودى أو نصرانى ثم يموت ولا يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

٨ ـــ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الل صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن نبى قبلى ولا أقوله فخراً : بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود ونصرت بالرعب من مسيرة شهر وأُحلَّت لى الغنائم ولم تُحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتى يوم القيامة ، فهى لمن لا يشرك بالله شيئاً » أخرجه أحمد .

٩ ـــ ما أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن الشعبى عن عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنى مررت بأخ من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك قال : فتغير وجه رسول الله ، قال عبد الله بن ثابت : فقلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً ، فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء » .

تنبيه :

فيتضح من هذه النصوص القرآنية والحديثية بأن النبى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بعث للناس والجن كافة فمن تابعه وآمن بدعوته سمى من أمة الإجابة ، وهى أمة الإسلام ومن لم يجبه لدعوته سمى من أمة الدعوة وهو مطالب بالإيمان بالإسلام والتخلى عن نحلته التى يعتنقها سواء أكانت هذه النحلة يهودية أو نصرانية أو بوذية أو هندوكية أو أيَّة نحلة وثنية أو إلحادية ، وستظل الدعوة فيهم إلى يوم القيامة فمن آمن دخل الجنة ومن بقى على كفره ومات عليه فهو من أهل النار إذ لا دين عند الله إلا الإسلام ، ونبينا محمد خاتم النبيين ، وتوضح ذلك الأدلة الآتية :

١ ـــ قال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام**(١) **وما اختلف الذين أوتوا**

(١) الآية رقم ١٩ ـــ سورة آل عمران .

الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيٰت الله فإن الله سريع الحساب ﴾ .

٢ ـــ وقال تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾(١) .

٣ ـــ وقال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾(٢) .

وكون الإسلام خاتم الرسالات فرسول الإسلام سيدنا محمد بن عبد الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، خاتم الرسل ، للدليلين الآتيين :

١ ـــ قوله تعالى : ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليماً** ﴾(٣) .

٢ ـــ وفى السنة المطهرة فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى داراً بناءً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

وأخيراً الأمة بالمعنى الخاص :

فهى أمة الإجابة ، وهم الذين أجابوا الدعوة ودخلوا فى دين الله وهم أهل الجنة . وهم المقصودون بالأدلة الآتية والخارج منهم عاص لا كافر ، ويعذب فى النار على قدر ذنبه أو تلحقه رحمة الله أو شفاعة النبى كما هو مبين فى مبحث النار .

١ ـــ يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ (آل عمران ـــ ١١٠)

٢ ـــ وقوله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ (البقرة ـــ ١٤٣) .

---

(١) الآية رقم ٨٥ ـــ سورة آل عمران .
(٢) الآية رقم ٣ ـــ سورة المائدة .
(٣) الآية رقم ٤٠ ـــ سورة الأحزاب .

٣ ــــ ومن السنة المطهرة : فيما رواه المغيرة بن شعبة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » أخرجه البخارى

٤ ــــ وفيما رواه معاوية رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يزال فى أمتى أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » أخرجه البخارى .

٥ ــــ وفيما رواه ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليقرأن القرآن ناس من أمتى يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » رواه أحمد .

٦ ــــ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً وإن يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإن من شذ شذ فى النار » أخرجه الترمذى وابن ماجه وعبد بن حميد والحاكم .

٧ ــــ وفيما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن أمتى لا تجتمع على ضلالة أبداً فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم » أخرجه ابن ماجه .

✪✪✪✪✪

المبحث رقم (٥)
الملة

الملة فى اللغة الشريعة أو الدين ــ كملة الإسلام والنصرانية واليهودية وقيل هى معظم الدين وجملة ما يجىء به الرسل . وقال الراغب : الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جواره ، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لاتضاف إلا للنبى الذى تستند إليه ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا فى جملة الشرائع دون آحادها . وقال أبو إسحق : الملة فى اللغة : السنة والطريقة ، وقال فى الأساس ومن المجاز الملة : الطريق المسلوكة ، ومنه ملة إبراهيم عليه السلام خير الملل(١) .

وورد فى المعجم الوسيط ، الملة : الشريعة أو الدين ، كملة الإسلام والنصرانية ، وهى اسم لما شرع الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة فى الدنيا والآخرة . ووردت الملة فى القرآن العظيم فى عدة آيات . نختار منها بعضها ذات الدلالة المتنوعة : قال سبحانه وتعالى ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفينـٰه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين** ﴾(٢) ﴿ **ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النَّصـٰرىٰ حتى تتبع ملتهم** ﴾(٣) ﴿ **قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾(٤) ﴿ **ومن أَحْسَنُ ديناً مِمَّن أسلم وجهَهُ لله وهُوَ مُحْسنٌ واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً** ﴾(٥) ﴿ **إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كـٰفرون** ﴾(٦) ﴿ **واتبعت ملة ءَاباۤءىَ إبرٰهيم وإسحـٰق ويعقوب** ﴾(٧) ﴿ **ملة**

(١) انظر تاج العروس ج ٨ ص ١١٩ .
(٢) الآية رقم ١٣٠ سورة البقرة .
(٣) الآية رقم ١٢٠ سورة البقرة .
(٤) الآية رقم ٩٥ سورة آل عمران .
(٥) الآية رقم ١٢٥ سورة النساء .
(٦) الآية رقم ٣٧ سورة يوسف .
(٧) الآية رقم ٣٨ سورة يوسف .

أبيكم إبرٰهيم هو سمّٰكم المسلمين من قبل ﴾[1] **﴿ لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ﴾**[2] .

وتبين المقصود من هذه الآيات فى موضوع الملة النقاط الآتية المنقولة ملخصة من التفاسير الآتية : التفسير الكبير للفخر الرازى ، ابن كثير ، الدر المنثور للسيوطى ، المنار .

١ ــ فملة إبراهيم الواردة فى الآيات هى ملة الإسلام دين الفطرة لا غيرها من الملل . ويشهد لذلك قوله تعالى : **﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾**[3] .

٢ ــ وإن الدين المقصود به فى هذه الآيات هو الإسلام وإن أبا الأنبياء إبراهيم هو الذى سمَّى أمة الإجابة مسلمين ومن سواهم أهل الضلالة ، وهى استجابة لدعوته .

٣ ــ وإن الأنبياء جميعهم متبعون ملة إبراهيم وهى ملة الإسلام لا ملة غيرها مقبولة عند الله ، ومنهم إسحق ويعقوب اللذان يدَّعى اليهود والنصارى اتّباع ملتهم زوراً وبهتاناً ولو كانوا متبعين لهم لاتبعوا نبينا محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام لأنه على ملة إبراهيم وإسحق ويعقوب وكل من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين ، فإن الله يهدى قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله إماماً يقتدى به فى الخير وداعياً إلى سبيل الرشاد .

٤ ــ وإن أتباع ملة إبراهيم هو نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ومن تابعه إلى يوم القيامة وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين .

٥ ــ ومعنى الحنيف فى الآيات ، هو المائل عن الشرك قصداً أى تاركاً له عن بصيرة ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ، ولا يرده عنه راد .

٦ ــ ومعنى سفهت نفسه فى الآيات : أى حمقت وصار سفيهاً ، وهو من أهل الضلال وحاد عن الحق .

---

(١) الآية رقم ٧٨ سورة الحج .

(٢) الآية رقم ١٣ سورة إبراهيم .

(٣) الآية ٦٧ آل عمران .

٧ ــ ويوضحه الحديث الذى رواه الحارث الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا بدعوة الجاهلية فإنه مِنْ جثى جهنم ، قال رجل : يا رسول الله وإن صام وصلى ؟ قال : نعم وإن صام وصلى ، فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » أخرجه النسائى .

٨ ــ وقال ابن كثير عند تفسيره ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى** .... ﴾ عن ابن جرير بأن الخطاب موجه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن اليهود ولا النصارى براضية عنك أبداً ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله فى دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ، وإن الهدى هو هدى الله الذى بعثك به وهو الإسلام ، والخطاب موجَّه لأمة الإجابة ، وإن ملة الكفر ملة واحدة وهى أمة الدعوة من يهود ونصارى وغيرهم . انتهى ملخصاً .

٩ ــ وذكر الأستاذ رشيد رضا فى تفسير المنار فائدة : عند تفسير ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى** ﴾ حكاية عن السِّدى حيث قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى ، فقالت اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين إبراهيم ولن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم ، فنحن خير منكم ــ نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا ، فرد الله عليهم قولهم فقال : ﴿ **ليس بأمانيكم** ﴾ الخ .

وحكى أيضاً الأستاذ رشيد رضا رواية ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما وذكر أن الآيات الثلاث نزلت فى ذلك ، وهى قوله تعالى : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ۝ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولـئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ۝ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو مُحْسن واتَّبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً** ۝ ﴾ (١٢٣ : ١٢٥) سورة النساء .

المبحث رقم (٦)

ما أنا عليه وأصحابى

(١) لابد للدخول فى هذا الموضوع من معرفة ما كان عليه رسول الله مع صحبه من تعريف الصحابة والإسلام ومن هو المسلم فما أتى به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهى كلمة التوحيد حيث قال فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه حيث قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » (متفق عليه) .

(٢) الصحابى وهو كل من رأى النبى أو رآه النبى وهو مسلم ومات وهو مسلم .

(٣) ما هو الإسلام ومن هو المسلم ، نعرف الإسلام بمعناه العام وهو إسلام الوجه لله والخلوص من الشرك وأهله أى التوجه الكامل إلى الله والخضوع الكامل لأوامر الله .

والاستدلالات على جزئيات هذا التعريف من كتاب الله العزيز كالآتى :

(أ) ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (آية ١١٢ البقرة) .

(ب) ﴿ **ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾ (آية ١٢٥ النساء) .

(ج) ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى**

الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ (١٣٠ : ١٣١ سورة البقرة) .

(د) ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العلم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ (١٢٧ : ١٢٨ البقرة) .

(هـ) ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ (٤٤ المائدة) .

(و) ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبدُ إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلـٰهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ (١٣٣ البقرة) .

(ز) ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلَّمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾ (١٠١ يوسف) .

(ح) ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرجٍ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ (٧٨ الحج) .

(ط) ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١١٠ آل عمران) .

والمسلم من شهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وآمن بأصول الإسلام الواردة فى حديث جبريل الذى رواه عنه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فيه رسول الله « أتاكم جبريل ليعلمكم دينكم » فبين لنا المصطفى عليه الصلاة والسلام بأنه هذا هو الإسلام وهذا هو المسلم ونص الحديث :

(٥) قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما نحن جلوسٌ عند

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد ! أخبرنى عن الإسلام قال : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الإيمان قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر [1] خيره وشره » قال صدقت قال فأخبرنى عن الإحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرنى عن أمارتها قال : « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون فى البنيان » قال ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لى « يا عمر ! أتدرى من السائل » قلت الله ورسوله أعلم قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » أخرجه مسلم .

(٢) وفيما رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » (رواه البخارى ومسلم) .

(٣) حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن وفد عبد القيس أتوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأخبروه بأنهم لا يستطيعون الحضور إليه إلا فى شهر حرام وقالوا فمُرنا بأمر نخبر به من وراءنا ندخل الجنة فأمرهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأربع ونهاهم عن أربع وكان أول ما أمرهم به الإيمان بالله وحده ثم قال عليه الصلاة والسلام « وهل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟» قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » (أخرجه البخارى) .

---

(١) القدرية منكرو القدر كفار لقول النبى « القدرية مجوس هذه الأمة » (أخرجه أبو داود والطبرانى وغيرهم) .

(٤) وفيما رواه أنس رضى الله عنه عن رسول الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته » (أخرجه البخارى والنسائى) .

(٢) وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حمار فقال لى : « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله » قلت الله ورسوله أعلم قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ألَّا يعـذب من لا يشرك به شيئاً » قلت يا رسول الله أفلا أُبشر الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا » (متفق عليه) .

(٧) وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » أخرجه مسلم من رواية أبى مالك الأشجعى عن أبيه .

(٨) وحدث المقداد بن عمرو الكندى وهو ممن شهدوا بدراً ، أنه قال : يا رسول الله إن لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال : أسلمت لله ، أأقتله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقتله » قال : يا رسول الله فإنه طرح إحدى يدى ثم قال ذلك بعد ما قطعها ، أأقتله ؟ قال : « لا تقتله » فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال » أخرجه البخارى .

(٦) وحدَّث أسامة بن زيد بن حارثة قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم قال : فلما غشيناه قال لا إله إلا الله قال : فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى فقتلته قال : فلما قدمنا بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : فقال لى : « يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله » فما زال يكررها علىَّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . (أخرجه البخارى) .

(٧) عن عتبان بن مالك البدرى قال : كنت أصلى لقومى بنى سالم وكان

يحول بينى وبينهم واد إذ جاءت الأمطار فيشق على اجتيازه قبل مسجدهم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له إنى أنكرت بصرى وإن الوادى الذى بينى وبين قومى يسيل إذا جاءت الأمطار فيشق على اجتيازه فوددت أنك تأتى بيتى فتصلى فى بيتى مكاناً اتخذه مصلى فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « سأفعل » فغدا علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه بعد ما اشتد النهار واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى قال : « أين تحب أن أصلى من بيتك » فأشرت له إلى المكان الذى أحب أن أصلى فيه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم فحبسته على خزيرة تصنع له فسمع أهل الدار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بيتى فثاب رجال منهم حتى كثر الرجال فى البيت فقال رجل منهم ما فعل مالك بن الدخشم لا أراه فقال رجل : ذاك منافق لا يحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقل ذلك ، ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى ؟ فقال : الله ورسوله أعلم أما نحن فما نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله » متفق عليه .

(٨) عن عبد الله بن عدى بن الخيار عن رجل من الأنصار حدثه أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مجلس فشاوره ليستأذنه فى قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال الأنصارى : بلى يا رسول الله ولا شهادة له فقال صلى الله عليه وسلم : « أليس يشهد أنى رسول الله ؟ » قال بلى يا رسول الله ولا شهادة له قال : « أليس يصلى ؟ » قال بلى يا رسول الله ولا صلاة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولئك الذين نهانى الله عنهم » رواه أحمد .

(٩) وعند أبى داود ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، وسئل جابر هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً فقال : معاذ الله . رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير برجال الصحيح ، كما فى مجمع الزوائد .

١ ـــ فيتضح من هذه الأدلة الصحيحة بأن المسلم من شهد أن لا إله إلا الله .

٢ ـــ كما يتضح بأن ما كان عليه نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على كلمة التوحيد .

ـــ ٣ ـــ كما يتضح من هذه الأدلة أيضاً بأن كل من قال لا إله إلا الله ومات على ذلك كان من أهل الجنة .

٤ ـــ كما يتضح من هذه الأدلة بأن كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله عصم دمه وماله .

٥ ـــ ويتضح من هذه الأدلة أن هذه هى الفئة الناجية ومن أشرك بكلمة التوحيد انتقل من أمة الإجابة إلى أمة الدعوة وإن علم به الإمام وثبت عليه الإشراك هُدر دمه وقتل ردة ولا غسل له ولا تكفين ولا صلاة عليه ولا دفن له فى مقابر المسلمين [1] .

فرع : الإسلام وكلمة التوحيد هى دعوة الأنبياء والرسل ، منذ أن خلق الله البرية والأرض ومن عليها ورسله ورسائله تتابع إلى الثقلين حتى رسالة خاتم الأنبياء وسيد الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث بين لنا الله فى محكم التنزيل على لسان نوح : ١ ـــ ﴿ **وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ (٧٢ يونس) .
٢ ـــ وقال على لسان أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ **ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً** ﴾ (٦٧ آل عمران) .
٣ ـــ وعلى لسان أبى الأنبياء أيضاً وابنه إسماعيل ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ﴾ (١٢٨ البقرة) .
٤ ـــ وقال تعالى على لسان سيدنا يعقوب عندما أوصى بنيه فقال : ﴿ **إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ (١٣٣ البقرة) .
٥ ـــ وعلى لسان يوسف الصديق عليه السلام فقال تعالى : ﴿ **توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين** ﴾ (١٠١ يوسف) .

---

(١) انظر مبحث النار ـــ فرع التكفير .

٦ ـــ وعلى لسان نبى الله موسى بن عمران عليه السلام فقال تعالى : ﴿ **وقال موسى يـٰقوم إن كنتم ءَامنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ (٨٤ يونس) .

٧ ـــ وعلى لسان بلقيس ملكة سبأ عندما أمرها سيدنا سليمان عليه السلام بالمجىء إليه وهى مسلمة ، حيث قال تعالى : ﴿ **ألا تعلوا علىَّ وأتونى مسلمين** ﴾ (٣١ النمل) وفى قوله تعالى : ﴿ **أسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ (٤٤ النمل) .

٨ ـــ وعلى لسان حوارى عيسى عليه السلام حيث شهدوا أمامه بأنهم مسلمون ، إذ قال تعالى : ﴿ **آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾ (٥٢ آل عمران) .

١ ـــ فيتضح من هذه النصوص القرآنية بأن جميع الرسل ومن تابعهم كانوا يدينون إلى الله بالإسلام وهو دين التوحيد والفطرة ونفى الشرك .

٢ ـــ ويتضح أن كل من تابع هؤلاء الرسل فى عقيدتهم كان من أمة الإجابة ولو كان نفراً أو أنفاراً كما قال الله واصفاً نبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه كان أمة وكل من لم يجب كان كافراً وهو من أهل النار خالداً فيها أبداً .

٣ ـــ ويتضح من هذه الأدلة أن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غيره فلن يقبل منه حيث قال الله تعالى فى الآية ٦٧ من سورة آل عمران سالفة الذكر .

٤ ـــ ما كان عليه رسول الله وأصحابه هو كلمة التوحيد التى دعا لها سائر الأنبياء وأخذ الله العهد على ذرية بنى آدم بالانصياع لها فمن انقاد لها فهو من أمة الإجابة ومن أهل الجنة ومن تولى عنها وأعرض فهو من أهل النار خالداً مخلداً فيها ، حيث قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غـٰفلين ۝ أو تقولوا إنما أشرك ءاباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ۝ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ۝ واتْلُ عليهم** . . . . . . ﴾ (١٧٢ : ١٨٤ سورة الأعراف) .

ويوضح ذلك ، قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » متفق عليه ، وفى رواية

« ما من مولود يولد إلا وهو على الملة » وفى رواية « ليس مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه » .

تنبيه :

وقد ينساب إلى بعض الأذهان الفهم الخاطىء فى منطوق الحديث الآتى وهو : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » أخرجه أحمد والبزار ــ والحكم الذى ذكره العلماء من هذا الحديث تمام الإسلام وكماله لا أصل الإسلام ــ ويوضحه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وزاد الطبرانى فى الكبير « وحرمة ماله كحرمة دمه » أخرجه أحمد والستة إلا أبا داود . فلم يقل أحد من أهل العلم فيمن قاتل مسلماً أى ضاربه بأنه كافر بل قالوا إنه منقص فى إسلامه ــ انظر مبحث النار حتى ينجلى لك مفهوم الكفر وأحكامه .

✪✪✪✪✪

المبحث رقم (٧)

النار

النار دار العذاب للمشركين والكفار والعصاة من المسلمين ، والنار فى هذا الحديث مقصود بها الخلود[(١)] ، فالفئات المخلدة فى النار هم الذين لم يلبوا دعوة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أمة الدعوة ومات وهو غير مؤمن بنبوة نبينا محمد وفى هذا المبحث عدة فروع :

الفرع الأول : المشركون :

المشرك هو كل من جعل لله نداً فى عبادته كمن عبد الأوثان أو النجوم والكواكب والجان والإنسان ، فهؤلاء جميعاً مشركون خالدون فى النار خلوداً أبدياً لا يخرجون منها وهم فى عذاب سرمدى ويتضح ذلك من قوله تعالى فى الآيات الكريمة الآتية : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يـٰبنى إسرآئيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأوٰه النار وما للظالمين من أنصار**[(٢)] ﴾ ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إلـٰه واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين**[(٣)] ﴾ ﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرُّ البرية** ﴾[(٤)] ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**[(٥)] ﴾ .

---

(١) بدليل ذكر اليهود والنصارى وهم كفار بالأصل ومخلدون فى النار كما أثبتت ذلك الأدلة ، انظر مبحثى بنى إسرائيل والنصارى .

(٢) آية رقم ٧٢ سورة المائدة .

(٣) آية رقم ٦ سورة فصلت .

(٤) آية رقم ٦ سورة البينة .

(٥) آية رقم ٨١ سورة البقرة .

والخطيئة كما ذكر ابن كثير عن ابن عباس والحسن الشرك ، وقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن المشرك لا يغفر له ومن لم يغفر له فمصيره النار وتوضح ذلك الأحاديث الآتية :

١ ـــ عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يقول الله عز وجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزِيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغْفر ومن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن مشى إلىَّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئاً لقيته بمثلها مغفرة[1] » رواه مسلم .

٢ ـــ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابـن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة[2] » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

الفرع الثانى : الكفار :

الكفر فى اللغة الستر ، والله ودين الإسلام أوضح الواضحات ، فمن أنكر الله سبحانه وتعالى والإسلام ونبوة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ستر ما لا يستر . والكفر كفران :

(أ) كفر أصلى وهو كل من لم يؤمن بالله ورسوله ودين الإسلام .

(ب) كفر من كان مسلماً وهذا أيضاً كفره كفران :

أ ـــ كفر مخرج من الملة .

ـــ كفر غير مخرج منها وهم عصاة المسلمين .

فالكافر الأصلى مخلد فى النار لا يخرج منها ، وكذا من كفر من المسلمين

---

(١) هذا حديث قدسى .

(٢) هذا حديث قدسى .

كفراً مخرجاً من الملة مخلداً فى النار ــ وهو المرتد ــ فتوضح ذلك الآيات الآتية :

(١) ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآيٰتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[١]

(٢) ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطٰغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[٢]

(٣) ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين . خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾[٣] .

(٤) ﴿ إن الذين كفروا لن تُغْنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[٤] .

(٥) ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾[٥] .

(٦) ﴿ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحٰب النار هم فيها خالدون ﴾[٦] .

(٧) وقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ولا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » عن أبى هريرة ــ أخرجه مسلم وأحمد .

(٨) وفيما استشهد به عبد الله بن رواحة رضى الله عنه أمام النبى صلى الله عليه وسلم وأقره عليه ، البيت :

شهدت بأنَّ وعْد الله حق وأنَّ النار مثوى الكافرين

---

(١) آية رقم ٣٩ سورة البقرة .

(٢) آية رقم ٢٧٥ سورة البقرة .

(٣) آية رقم ١٦٠ ــ ١٦١ سورة البقرة .

(٤) آية رقم ١١٦ سورة آل عمران .

(٥) الآيات رقم ٧٨ ــ ٧٩ ــ ٨٠ ــ سورة المائدة .

(٦) الآية رقم ٣٦ سورة الأعراف .

الفرع الثالث : من المخلدين فى النار ــ المرتد عن الإسلام :

المرتد كل من ارتد عن الإسلام سواء أكان بقوله فى الله أو النبى أو الإسلام مايخرجه عن الملة أو بفعل منافٍ للإسلام كالسجود إلى صنم أو وثن أو تعليقه لصليب فى عنقه أو ما شابه ذلك من أفعال الجاهلية وهو عالم بحرمته غير مكره أو أنكر متواتراً أو استحله أو أنكر ما كان من الدين بالضرورة أو استحل ما حرَّم الله من غير تأويل بعد علمه بحكمه الشرعى ، فهؤلاء الأصناف يسمون مرتدين عن الإسلام مهدورى الدم ولا عصمة لهم ولا يَرِثُون ولا يُورثون ولا يغسلون ولا يكفنون ولا يصلى عليهم ولا يدفنون فى مقابر المسلمين ، ويقتلون كفراً[1] لا حدّاً ، لقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « من بدَّل دينه فاقتلوه » أخرجه البخارى ، وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وغيرهم ويدخل فى أحكام المرتد من انتمى إلى حزب من الأحزاب التى تتنافى عقائدها مع الإسلام كالحزب الشيوعى[2] والبعثى وكحركة القوميين العرب . والمرتد مخلد فى النار أبداً لقوله تعالى : ﴿ **يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[3] ويكون بذلك انتقل بردته من أمة الإجابة إلى أمة الدعوة بدليل استتابته ، فإن قبل الاستتابة عاد لأمة الإجابة وإن لم يقبل وأصر على ردته طبق عليه حكم الله تعالى فى الدنيا وكان فى الآخرة خالداً مخلداً فى النار ، وفى الباب آيات كثيرة وأحاديث عديدة مبينة فى كتب الأحكام ، فلتراجع فى مظانها ، ومنها كتب المجموع شرح المهذب للنووى ، والمغنى لابن قدامة والمحلّى لابن حزم وغيرها .

الفرع الرابع : العصاة من المسلمين :

ورد فى محكم التنزيل عديد من الآيات تبين حكم العصاة من المسلمين فى

---

(١) وتثبت الردة بشهادة شرعية معتبرة ويقتل بحكم الحاكم .

(٢) انظر مبحث الزنادقة .

(٣) آية رقم ٢١٧ سورة البقرة .

الآخرة دخولهم وخلودهم فى النار ، فكل مسلم تعدى حدود الله ولم يستحله فهو عاصٍ استحق النار إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه بقسط عدله كما هو مبين فى تفسير آيات الأحكام وفى كتب الأحكام ، وإن كان المتعدى لحدود الله مستحلاً لها ، فهذا خالد مخلد فى النار لأنه أنكر ما كان معلوماً من الدين بالضرورة ، وتبيِّن ذلك هذه الآيات التى سوف نذكرها على سبيل المثال ، قال تعالى :

أولاً : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان مِن المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحلّ الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾(١)

ومن تعامل بالربا وكان مستحلاً له دخل فى اللعنة كلعنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لليهود وخلد معهم فى النار ، ومن تعامل به غير مستحل له كان من العصاة ويجب عليه الرجوع عنها ولا يصر على بقائه فيه حتى تلحقه منيته وهو على هذا الحال فيخشى عليه ممن يدخل فى اللعنة ويبين ذلك قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا أثمانها » وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه ومانع الصدقه » أخرجه أحمد والنسائى . وقوله تعالى فيمن تعدى حدود الله فى قسمة المواريث بخلاف ما قسمه الله سبحانه وتعالى فيما ذكر فى الآيات التى قبل هذه الآية فإن كان متعدياً لحدود الله عامداً فهو خالد فى النار ، وإن كان جاهلاً أو متأولاً فهو معذب على قدر ذنبه وإن شاء الله غفر له .

ثانياً : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾(٢) .

ثالثاً : قال تعالى : **﴿ وَمَنْ يَقْتُل مؤْمِناً متعمداً فجزَاؤه جَهَنَّمُ خالداً فيها وغَضِبَ الله عَلَيْه ولَعَنهُ وَأَعَدَّ له عَذَاباً عظيماً ﴾**(٣) ونزلت هذه الآية فى مُقِيس

(١) الآية رقم ٢٧٥ سورة البقرة .
(٢) آية رقم ١٤ سورة النساء .
(٣) آية رقم ٩٣ سورة النساء .

ابن ضباب حيث قتل رجلاً من بنى فهد بعد أن قضى الرسول لمقيس بالدية لمقتل أخيه من بنى النجار فقتل الفهدى ورجع إلى مكة المكرمة معلناً ردته ، حيث نظم هذين البيتين :

قتلت به فهراً وحملت عقله سراة بنى النجار أرباب فارع
وأدركت ثأرى واضجعت مُوَسَّداً وكنت إلى الأوثان أول راجع

فاهدر دمه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقتل يوم فتح مكة انظر أسباب النزول لأبى الحسن الواحدى النياسبورى صفحة ١٢٧ .

فمقيس بن ضباب استحق الخلود فى النار بحكم ردته عن الإسلام وأهدر دمه الرسول وقتله بحكم الله فى الدنيا .
والعبرة بعموم الدليل لا بخصوص السبب فمن قتل مؤمناً متعمداً مستحلاً دمه خلد فى النار وإن قتله خطأ لزمته الدية والكفارة وكذا لو كان متعمداً ولم يرتد عن الإسلام ولم يستحل القتل لزمه القصاص أو الدية المغلظة إذا أسقط أولياء الدم القصاص وتلزمه الكفارة عند بعض المذاهب . انظر تفسير ابن كثير والمغنى والمجموع ، ولا يخلد فى النار ويقضى عقوبته فيها على قدر وزره لأنه من حقوق الآدميِّين ، وأما حديث : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يقتل المؤمن متعمداً » فالمراد الاحتراز من خطإ اليد لا خطإ الاستحلال بدليل ما ذكرناه وسياق الآيات .

ويوضح ذلك قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما أخرجه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « يدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخل من يشاء فى رحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول : انظروا من وجدتم فى قلبه حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها ويدخلون فى نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية » .

ويخرج المؤمنون من النار برحمة الله وشفاعة[1] النبى صلى الله عليه وعلى آله

---

(١) لقول النبى عليه الصلاة والسلام : « شفاعتى لأهل الكبائر فى أمتى » أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد وابن ماجه .

وسلم ، وشفاعة النبى من رحمة الله ، وفى الباب أحاديث كثيرة عن الإمام على كرم الله وجهه ، وعن سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . وعن أبى سعيد الخدرى كما ذكر من رواية الصحيحين وأنس بن مالك وأبى هريرة وأبى موسى الأشعرى وعمران بن حصين وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله ، وأخرج لهؤلاء البخارى ومسلم وأحمد والحاكم وبهذا قد بلغ حد التواتر على قول السيوطى وفى مجمع الزوائد عن عشرة من الصحابة غير من ذكروا ولولا الإطالة لأوردنا جميع الروايات بنصها من المسانيد فلتراجع فى مظانها .

رابعاً : قوله تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[1] . ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾[2] . ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾[3] .

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما : (كفر دون كفر وظلم دون ظلم ، وفسوق دون فسق) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم[4] .

(٢) وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وصححه عن حذيفة أن هذه الآيات ذكرت عنده فقال رجل : (إن هذه فى بنى إسرائيل) قال حذيفة : (نعم) ... الأخوة لكم بنو إسرائيل أن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة كلا : والله لتسلكن طريقهم قدر الشراك)[5] .

وقال الفخر الرازى فى تفسيره : (ليست الآية فى اليهود وهذا القول ضعيف لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) .

وأقول إن سياق الآيات يدل على أنها للمسلمين ﴿ **ولا تخشوا الناس واخشونى ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً** ... ﴾ والخشية لا تكون إلا من المسلم لأن الكافر لا يخشى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) الآية رقم ٤٤ سورة المائدة .

(٢) الآية رقم ٤٥ سورة المائدة .

(٣) الآية رقم ٤٧ سورة المائدة .

(٤) انظر الدر المنثور للسيوطى .

(٥) انظر الدر المنثور للسيوطى .

(٣) وذكر السيوطى فى الدر المنثور أن حميد بن حميد عن حكيم بن جبير أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم** .... **ومن لم يحكم** ... **ومن لم يحكم** ... ﴾[1] ؟ قال ، فقلت : زعم قوم إنها نزلت على بنى إسرائيل ولم تنزل علينا . قال : اقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال لا بل نزلت علينا[2] .

(٤) وذكر السيوطى فى تفسير الدر المنثور عن حكيم بن جبير أنه لقى مقسماً مولى ابن عباس فسأله عن هؤلاء الآيات التى فى المائدة ، قال : (زعم قوم أنها نزلت على بنى إسرائيل ولم تنزل علينا قال : إنها نزلت على بنى إسرائيل ونزلت علينا وما نزل علينا وعليهم فهو لنا ولهم) ثم دخلت على على بن الحسين فسألته ــ وذكر أنه ذكر له ما قاله سعيد ومقسم ــ قال : قال صدق ولكنه كفر ليس ككفر الشرك ، وظلم ليس كظلم الشرك ، وفسق ليس كفسق الشرك ، فلقيت سعيد بن جبير فأخبرته بما قال ، فقال سعيد بن جبير لابنه : كيف رأيته ؟ قال : لقد وجدت له فضلاً عظيماً عليك وعلى مقسم) والمراد أن عدم الحكم بما أنزل الله أو تركه إلى غيره ــ وهو المراد ــ لا يعد كفراً بمعنى الخروج من الدين ، بل بمعنى أكبر المعاصى . انتهى بنصه : من تفسير الدر المنثور .

(٥) وروى عن ابن عباس فى معنى هذه الآية (ليس الكفر الذى تذهبون إليه) رواه عنه ابن أبى حاتم والحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين : ولم يخرجاه .

وذكر ابن كثير فى تفسيره عن الثورى عن عطاء وروى أيضاً عن طاوس (ليس بكفر ينقل عن الملة) .

(٦) ولا يكفر الحكام المسلمون ، إذا لم يحكموا بما أنزل الله إلا إذا كانوا مستهزئين أو مستهينين وتمردوا بأن حكموا بغيرها كمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنا غير مذعن له لاستقباحه إياه وتفضيل غيره من أحكام البشر الوضعية عليه فهو كافر قطعاً ، ودليل ذلك ما ذكره ابن كثير عن ابن عباس

---

(١) الآيات رقم ٤٤ ــ ٤٥ ــ ٤٧ ــ سورة المائدة .

(٢) انظر الدر المنثور .

رضى الله عنهما : (من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق) رواه ابن جرير .

(٧) وذكر الشيخ محمد أمين الشنقيطى فى تفسيره أضواء البيان ، رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله** ﴾ **فقد فعل فعلاً** يضاهى أفعال الكفار .

وذكر أيضاً عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : أحسن هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار ، أى معتقداً ذلك ومستحلاً له . وروى القشيرى عن الخوارج ، أن من ارتشى وحكم بحكم غير حكم الله فهو كافر . انتهى .

(٨) وروى القرطبى عن الحسن البصرى أنه قال : (إن الله أخذ على الحكام ثلاثة أشياء :

أ ــ ألّا يتبعوا الهوى .

ب ــ وألا يخشوا الناس ويخشوه .

ج ــ وألا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً) .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولا تخشوا الناس واخشونى ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً** ﴾[1] . والخشية لا تكون إلا من المسلم لأن الكافر لا يخشى الله سبحانه وتعالى .

(٩) وذكر الفخر الرازى فى تفسيره نقلاً عن عكرمة بأنه قال : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله** ﴾ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله ، إلا إنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ، ولكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية ، وهذا هو الجواب الصحيح .

ورأيت فتوى للشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار شافية كافية فى هذا الموضوع فأحببت أن الحقها فى آخر البحث فلتنظر .

---

(١) آية رقم ٤٤ ــ سورة المائدة .

تنبيه : متى يجوز للمسلمين الخروج على الإمام الشرعى ؟ ومتى لا يجوز ؟

ذكر ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى ـــ الجزء ١٣ صفح ٨ ـــ أحاديث تبين متى يجوز الخروج على الإمام الشرعى ومتى لا يجوز ، فقال فيما رواه الطبرانى من حديث يزيد بن سلمة الجعفى أنه قال : « يا رسول الله إن كان علينا أمراء يأخذون بالحق الذى علينا ويمنعونا الحق الذى لنا أنقاتلهم ، قال : لا ، عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » .

(٢) وأخرج مسلم من حديث أم سلمة مرفوعاً « سيكون أمراء فيعرفون وينكرون ، فمن كره برىء ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع . قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما صلّو » .

(٣) ومن حديث عوف بن مالك رفعه فى حديث فى هذا المعنى « قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا الصلاة ، وفى رواية له (بالسيف) وزاد « وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة » .

(٤) وفى حديث عمر فى مسنده للإسماعيلى من طريق أبى مسلم الخولانى عن أبى عبيدة بن الجراح عن عمر رفعه قال « أتانى جبريل فقال : إن أمتك مفتتنة من بعدك ، فقلت : من أين ؟ قال : من قبل أمرائهم وقرائهم[١] ، يمنع الأمراء الناس الحقوق فيطلبون حقوقهم فيفتنون ، ويتبع القراء هؤلاء الأمراء فيفتنون . قلت : فكيف يسلم من سلم منهم ؟ قال بالكف والصبر إن أعطوا الذى هم أخذوه وإن منعوه تركوه » .

ومن أراد الاستزادة فى هذا الموضوع فليرجع إلى فتح البارى طبعة الريان .

الفرع الخامس : متى يكفر المسلم :

أجمع علماء الإسلام على عدم تكفير أحد من أهل القبلة إلا إذا رُئى منه كفر بواح لقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الحديث الصحيح الذى أخرجه

---

(١) القراء هم العلماء .

البخارى ومسلم وأحمد عن عبادة بن الصامت « إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان »[1] .

واعلم أن أصل الكفر التكذيب المُتَعَمَّد لشيء من كتاب الله تعالى المعلوم أو لأحد من رسله عليهم السلام ، أو لشيء مما جاءوا به إذا كان ذلك الأمر معلوماً من الدين بالضرورة ولا خلاف أن هذا القدر كفر ، ومن صدر عنه فهو كافر إذا كان مكلفاً مختاراً غير مختل العقل ولا مكره وكذلك لا خلاف فى كفر من جحد ذلك المعلوم من الدين بالضرورة لكل من تستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة فى تأويل جميع الأسماء الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والميعاد الأخروى من البعث والقيامة والجنة والنار ، ويكفر الزنادقة[2] ، والمجسمة[3] ، والمشبهة[4] ، والقدرية[5] للأدلة الواردة فيها ومن لا دليل على كفره من كتاب ولا سنة لا يكفر بالقياس لأن القياس عند المحققين من علماء المعقولات لا يكون قاطعاً لأن الأمرين إن استويا فى جميع الوجوه لم يكن قياساً وإن وجد بينهما فارق جاز أن يكون مؤثراً فى عدم استوائهما فى الحكم ولم يقم دليل قاطع على أنه وصف مُلْغَى لا تأثير له . وبهذا ليس القياس حجة فى التكفير ، لقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها »[6] رواه البخارى عن أبى هريرة .

ولأن القياس ظن فى إصدار الحكم وتكفير المسلم لا يحصل بالظن ، والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهانا عن اتباع الظن حيث قال : « إياكم والظن فإن

---

(١) وشذ عن الإجماع الخوارج إذ كفروا مرتكب الكبيرة .

(٢) لقول النبى فى حديث أبى يعلى الذى صححه الحافظ بن حجر « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة » انظر مبحث الزنادقة .

(٣) قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير ﴾ آية رقم ١١ سورة الشورى . والمجسمة جعلوا الله عز وجل كالمخلوقات له جسم وجهة والله عز وجل نفى ذلك عن نفسه كما ورد فى الآية فمن جسمه فقد كفر بالدليل .

(٤) ويدل على كفرهم لتشبيههم الله بالمخلوقات قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ آية ١١ سورة الشورى .

(٥) القدرية : لقول النبى « القدرية مجوس هذه الأمة » أخرجه ابو داود والطبرانى وغيرهم . والقدرية هم منكرو القدر وهو ركن من أركان الإيمان وهو من المعلوم من الدين بالضرورة .

(٦) قال النووى فى شرح مسلم : (وإلا باء بالكفر) وفى رواية وجب عليه أحدهما .

الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك »[1] .

وتحذير النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن تكفير أهل كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، كما ورد فى حديث أنس رضى الله عنه أذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ثلاث من أصل الإيمان الكف عَمَّنْ قال لا إله إلا الله ، لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن ملة الإسلام بالعمل ، والجهاد ماض مَنذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أُمتى الدجال لا يبطله جور جائر وعدل عادل والإيمان بالأقدار » أخرجه أبو داود ، ومثله حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « كفوا عن أهل (لا إله إلا الله) لا تكفروهم بذنب ، من كفَّر أهل (لا إله إلا الله) فهو إلى الكفر أقرب » أخرجه الطبرانى فى الكبير .

وذكر فى مجمع الزوائد أحاديث عن الإمام على كرم الله وجهه ، وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وأبى الدرداء وأبى أمامة ، ووائلة ، وجابر بن عبد الله ، وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم ، إلا أن فى أحاديثهم تجريحاً ولكنَّ تصرُّفَ الإمام على مع الخوارج مِن رَدِّهِ لأموالهم وعدم سبى ذراريهم وقوله فيهم بعدم الكفر كما تراه فيما يأتى ، ويعضد ذلك ما أخرجه الطبرانى عن جابر وقال رجاله رجال الصحيح ، حيث سئل جابر ، هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً ؟ قال : معاذ الله : ففزع لذلك . قال : هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً ؟ قال : لا .

وعندما قاتل الإمام على الخوارج وسئل عن قتاله لهم وعن بغضهم[2] له هل يقول بكفرهم ؟ فقال : لا وها نحن نسوق إليك أقوال الإمام على بنصها .

١ ــ عندما سئل على عن تكفير الخوارج ؟ قال : (من الكفر فروا) .

٢ ــ وعندما سئل عن إيمانهم فأجاب : لو كانوا مؤمنين ما حاربناهم .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وأحمد ومالك عن أبى هريرة .

(٢) ومن المعلوم أن بغض الإمام على كرم الله وجه وأهل بيته من الكفر على قول بعض العلماء لما وردت فيه من أدلة ــ انظر رسالتنا الجواب الحاوى على مقالة الطنطاوى وإيضاح نسبة بنى علوى .

قيل : فما هم ؟ قال : إخواننا بالأمس بغوا علينا فحاربناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله . وثبت هذا بإقرار الصحابة على عدم تكفيرهم كما نقله حميد فى كتابه عمدة المسترشدين .

٣ ـــ ونقل ابن بطال فى شرح البخارى كلام ابن جرير عن سؤال الإمام على فى نفاق الخوارج فأجاب الإمام (لو كانوا منافقين لم يذكروا الله إلا قليلاً) . وأيضاً جاء فى صحيح البخارى بأن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكفر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب عندما قال لحاطب إنك منافق ، وكذا معاذاً فى قوله للذى خرج من الصلاة حين طول معاذ إنه منافق . وكذا فى قضية أسامة ومثله خالد بن الوليد عندما قتلا من قال لا إله إلا الله لم يحكم بكفرهما ، وكذا قولة الخارجى[1] الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اعدل يا محمد والله إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله » . ولم يحكم النبى صلى الله عليه وسلم بكفره مع ذلك . مع أنه لو كُفِّر لوجب قتله بالردة .

تنبيه

والكفر كفران ، كما سبق أن بينا : كفر مخرج من الملة ، وكفر غير مخرج من الملة . وقد وردت ألفاظ فى الكتاب والسنة تنطق بالكفر وتقصد به الكفر غير المخرج من الملة كما بينته الآيات المذكورة فى الفرع الرابع فى هذا البحث وكذلك ما ورد فى السنة المطهرة من أحاديث عديدة تذكر الكفر ولم يقل أحد بخروج المشار إليهم فى تلك الأحاديث من الإسلام . وإليك بعض هذه الأحاديث نسوقها إليك على سبيل المثال :

١ ـــ تكفير النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم للنساء فى الأحاديث الآتية ـــ بينما لم يقل أحد بخروجهن من الإسلام ـــ :

(أ) قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « تكثرن اللعن والشكاة وتكفرن العشير » أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة وأحمد والدارمى .

---

(١) وهو حرقوص بن زهير ذو الخويصرة التميمى (انظركتاب أسباب النزول للواحدى) .

(ب) وقوله صلى الله عليه وسلم : « يكفرن العشير ويكفرن الإحسان » البخارى ومسلم والنسائى ومالك فى الموطأ وأحمد .

(ج) وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لكثرة لعنكن وكفركن العشير » الترمذى .

وعندما سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أيكفرن بالله تعالى ؟ قال : « لا . يكفرن العشير » .

٢ ــ ولما رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « سب المؤمن فسوق وقتاله كفر » أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

وهذا منوط بالاستحلال بدون تأويل سائغ ، وأما فقدان المفضى إليه فظاهره ليس مراداً فإنما أطلق عليه ذلك مبالغة فى التحذير معتمداً على ما تقرر من قواعد الدين بالضرورة على عدم كفره بمثل ذلك . أو المراد الكفر اللغوى لأنه بقتاله ستر حقوق أخوة الإسلام من كف كفه عن إراقة دمه وانتهاك حرمته ، ومثله حديث عمار : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » متفق عليه واللفظ لمسلم .

٣ ــ وقول النبى عليه وعلى آله الصلاة والسلام فى حديث متفق عليه « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

ومن الثابت وقوع عديد من المعارك بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتابعين ولم يقل أحد من الصحابة أو الأئمة الأعلام بكفر أحد الفريقين المتقاتلين بل أكدوا على إسلامهم كما ورد فى قول الإمام على عن الخوارج ، وعرفوا الخارجين عن الإمام بالبغاة وبين الله عز وجل ذلك فى محكم التنزيل عند قوله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهُما على الأخرى فقٰتلوا التى تبغى حتى تَفِىء إلى أمر الله فإن فآءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾[1] .

فسمَّى الله عز وجل الطائفتين مؤمنين ولم يخرجهما من ملة الإسلام بمدلول

---

(١) آية رقم ٩ سورة الحجر .

لفظة الكفر فى الحديث : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » ـــ وبشر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فئات المسلمين المتقاتلة بالشفاعة إذا كانوا متأولين فى قتالهم لا مستحلين دماء بعض معاندين لحدود الله ، وذلك فيما أخرجه أحمد والطبرانى فى الأوسط عن أم حبيبة زوجة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالت ، قال : « رأيت ما تلقى أمتى بعدى وسفك بعضهم دماء بعض فسألته أن يؤتينى شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل » ورجالهما رجال الصحيح .

ومن العجب أنا نرى اليوم تكفير كثير ممن لم يرسخ فى العلم لكثير من العلماء وما دروا حقيقة مذاهبهم وهذه ما يعقلها إلا العالمون ، لكثرة الأدلة الناهية عن تكفير المسلمين ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ .

نص فتوى السيد / محمد رشيد رضا فى قضية الحكم بغير ما أنزل الله :

(وقد كان مولوى نور الدين مفتي بنجاب من الهند سأل شيخنا الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى عن أسئلة منها مسألة الحكم بالقوانين الإنكليزية ، فحولها الأستاذ لأجيب عنها كما كان يفعل فى أمثالها أحياناً ، وهذا نص جوابى عن مسألة الحكم بالقوانين الإنكليزية فى الهند ، وهى الفتوى ال ٧٧ من فتاوى المجلد السابع من المنار .

(الحكم بالقوانين الإنكليزية فى الهند)(١)

(**س ٧٧**) ومنه : أيجوز للمسلم المستخدم عند الإنكليز الحكم بالقوانين الإنكليزية وفيها الحكم بغير ما أنزل الله ؟

(ج) إن هذا السؤال يتضمن مسائل من أكبر مشكلات هذا العصر ، كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم ، وحكم الحاكمين بها ، والفرق بين دار الحرب ودار الإسلام فيها ، وإننا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين

(١) عنوان المفسر لهذا الموضوع بما يلى : (الحكم بالقونين الإنكليزية ونحوها) .

يعتقدون أن قضاة المحاكم الأهلية الذين يحكمون بالقانون كفار أخذاً بظاهر قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ويستلزم الحكم بتكفير القاضى الحاكم بالقانون تكفير الأمراء والسلاطين الواضعين للقوانين ، فإنهم وإن لم يكونوا ألفوها بمعارفهم فإنها وضعت بإذنهم ، وهم الذين يولون الحكام ليحكموا بها ، ويقول الحاكم من هؤلاء : أحكم باسم الأمير فلان لأننى نائب عنه بإذنه ، ويطلقون على الأمير لفظ (الشارع) .

أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين بل لم يقل به أحد قط ، فإن ظاهرها يتناول من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا ، وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصى ومنها الحكم بغير ما أنزل الله . واختلف أهل السنة فى الآية فذهب بعضهم إلى أنها خاصة باليهود وهو مارواه سعيد بن منصور وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : إنما أنزل الله ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ، **والظالمون** ، **والفاسقون** ﴾ فى اليهود خاصة . وأخرج ابن جرير عن أبى صالح قال : الثلاث الآيات التى فى المائدة ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله** ﴾ إلخ . ليس فى أهل الإسلام منها شيء هى فى الكفار . وذهب بعضهم إلى أن الآية الأولى التى فيها الحكم بالكفر للمسلمين والثانية التى فيها الحكم بالظلم لليهود ، والثالثة التى فيها الحكم بالفسق للنصارى وهو ظاهر السياق . وذهب آخرون إلى العموم فيها كلها ويؤيده قول حذيفة لمن قال إنها كلها فى بنى إسرائيل : نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل أن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة ، كلا والله لتسلكن سبيلهم قد الشراك . رواه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم وصححه ، وأوّل هذا الفريق الآية بتأويلين .

فذهب بعضهم إلى أن الكفر هنا ورد بمعناه اللغوى للتغليظ ، لا معناه الشرعى الذى هو الخروج من الملة . واستدلوا بما رواه ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى السنن عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال فى الكفر الواقع فى إحدى الآيات الثلاث : إنه ليس بالكفر الذى تذهبون إليه إنه ليس كفراً ينقل عن الملة ، كفر دون كفر .

وذهب بعضهم إلى أن الكفر مشروط بشرط معروف من القواعد العامة ،

وهو أن من لم يحكم بما أنزل الله منكراً له راغباً عنه لاعتقاده بأنه ظلم مع علمه بأنه حكم الله أو نحو ذلك مما لا يجامع الإيمان والإذعان . ولعمرى إن الشبهة فى الأمراء الواضعين للقوانين أشد والجواب عنهم أعسر ، وهذا التأويل فى حقهم لا يظهر ، وإن العقل ليعسر عليه أن يتصور أن مؤمناً مذعناً لدين الله يعتقد أن كتابه يفرض عليه حكماً ثم هو يغيره باختياره ويستبدل به حكماً آخر بإرادته إعراضاً عنه وتفضيلاً لغيره عليه ويعتد مع ذلك بإيمانه وإسلامه . والظاهر أن الواجب على المسلمين فى مثل هذه الحال مع مثل هذا الحاكم أن يلزموه بإبطال ما وضعه مخالفاً لحكم الله ولا يكتفوا بعدم مساعدته عليه ومشايعته فيه ، فإن لم يقدروا فالدار لا تعتبر دار إسلام فيما يظهر ، وللأحكام فيها حكم آخر ، وها هنا يجىء سؤال السائل . وقبل الجواب عنه لابد من ذكر مسألة يشتبه الصواب فيها على كثير من المسلمين وهى :

إذا غلب العدو على بعض بلاد المسلمين وامتنعت عليهم الهجرة فهل الصواب أن يتركوا له جميع الأحكام ولا يتولوا له عملا أم لا ؟ يظن بعض الناس أن العمل للكافر لا يحل بحال ، والظاهر لنا أن المسلم الذى يعتقد أنه لا ينبغى أن يحكم المسلم إلا المسلم ، وأن جميع الأحكام يجب أن تكون موافقة لشريعته وقائمة على أصولها العادلة ، ينبغى له أن يسعى فى كل مكان بإقامة ما يستطيع إقامته من هذه الأحكام ، وأن يحول دون تحكم غير المسلمين بالمسلمين بقدر الإمكان . وبهذا القصد يجوز له أو يجب عليه أن يقبل العمل فى دار الحرب إلا إذا علم أن عمله يضر المسلمين ولا ينفعهم ، بل يكون نفعه محصوراً فى غيرهم ، ومعيناً للمتغلب على الإجهاز عليهم ، وإذا هو تولى لهم العمل وكلف الحكم بقوانينهم فماذا يفعل وهو مأمور بأن يحكم بما أنزل الله ؟

أقول : إن الأحكام المنزلة من الله تعالى منها ما يتعلق بالدين نفسه كأحكام العبادات وما فى معناها كالنكاح والطلاق ، وهى لا تحل مخالفتها بحال ، ومنها ما يتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات والحدود والمعاملات المدنية ، والمنزل من الله تعالى فى هذه قليل وأكثرها موكول إلى الاجتهاد ، وأهم المنزل وآكده الحدود فى العقوبات ، وسائر العقوبات تعزير مفوض إلى اجتهاد الحاكم ، والربا فى الأحكام المدنية . وقد ورد فى السنة النهى عن إقامة الحدود فى أرض العدو ، وأجاز بعض

الأئمة الربا فيها بل مذهب أبى حنيفة أن جميع العقود الفاسدة جائزة فى دار الحرب واستدل له بمناحبة (مراهنة) أبى بكر رضى الله عنه لأبى بن خلف على أن الروم يغلبون الفرس فى بضع سنين وإجازة النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، وصرحوا بعدم إقامة الحدود فيها ، روى ذلك عن عمر وأبى الدرداء وحذيفة وغيرهم وبه قال أبو حنيفة . قال فى إعلام الموقعين : (وقد نص أحمد وإسحاق بن راهويه والأوزاعى وغيرهم من علماء الإسلام على أن الحدود لا تقام فى أرض العدو ، وذكرها أبو القاسم الخرق فى مختصره فقال : لا يقام الحد على مسلم فى أرض العدو . وقد أتى بسر بن أرطأة برجل من الغزاة قد سرق مجنة فقال : لولا إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقطع الأيدى فى الغزو لقطعتك » . رواه أبو داود وقال أبو محمد المقدسى : وهو إجماع الصحابة . روى سعيد بن منصور فى سننه بإسناده عن الأحوص بن حكيم عن أبيه أن عمر كتب إلى الناس ألا يجلدوا أمير جيش ولا سرية ولا رجلا من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلا ، لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار . وعن أبى الدرداء مثل ذلك ، ثم ذكر ترك سعد إقامة حد السكر على أبى محجن فى وقعة القادسية . وذكر أنه قد يحتج به من يقول لا حدّ على مسلم فى دار الحرب كما يقول أبو حنيفة ، ولكنه علّله تعليلا آخر ليس هذا محل ذكره . وانظر تعليل عمر تجده يصح فى بلاد الحرب .

فعلم مما تقدم أن الأحكام القضائية التى أنزلها الله تعالى قليلة جداً وقد علمت ما قيل فى إقامتها فى دار الحرب لا سيما عند الحنفية ، فإذا كانت الحدود لا تقام هناك فقد عادت أحكام العقوبات كلها إلى التعزير الذى يفوض إلى اجتهاد الحاكم ، والأحكام المدنية أولى بذلك لأنها اجتهادية أيضا ، والنصوص القطعية فيها عن الشارع قليلة جداً . وإذا رجعت الأحكام هناك إلى الرأى والاجتهاد فى تحرى العدل والمصلحة وأجزنا للمسلم أن يكون حاكما عند الحربى فى بلاده لأجل مصلحة المسلمين ، فالذى يظهر أنه لا بأس من الحكم بقانونه لأجل منفعة المسلمين ومصلحتهم . فإن كان ذلك القانون ضارا بالمسلمين ظالما لهم فليس له أن يحكم به ولا أن يتولى العمل لواضعه إعانة له .

وجملة القول : أن دار الحرب ليست محلاً لإقامة أحكام الإسلام ، ولذلك

تجب الهجرة منها إلا لعذر أو مصلحة يؤمن معها من الفتنة فى الدين ، وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته ، ويقوى أحكام الإسلام بقدر استطاعته ، ولا وسيلة لتقوية نفوذ الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة ، ولا سيما إذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم والملل كالحكومة الإنكليزية والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب إلى الشريعة الإسلامية من غيرها ، لأنها تفوض أكثر الأمور إلى اجتهاد القضاة ، فمن كان أهلا للقضاء فى الإسلام وتولى القضاء فى الهند بصحة قصد وحسن نية يتيسر له أن يخدم المسلمين خدمة جليلة ، وظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والغيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثماً من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم فى دينهم ودنياهم ، وما نكب المسلمون فى الهند ونحوها وتأخروا عن الوثنيين إلا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة ، ولنا العبرة فى ذلك بما يجرى عليه الأوربيون فى بلاد المسلمين ، إذ يتوسلون بكل وسيلة إلى تقلد الأحكام ، ومتى تقلدوها حافظوا على مصالح أبناء ملتهم وجنسهم ، حتى كان من أمرهم فى بعض البلاد أن صاروا أصحاب السيادة الحقيقية فيها ، وصار حكامها الأولون آلات فى أيديهم .

والظاهر مع هذا كله أن قبول المسلم للعمل فى الحكومة الإنكليزية فى الهند (ومثلها ما هو فى معناه) وحكمه بقانونها هو رخصة تدخل فى قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، إن لم يكن عزيمة يقصد بها تأييد الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين . ذلك أن تعده من باب الضرورة التى نفذ بها حكم الإمام الذى فقد أكثر شروط الإمامة ، والقاضى الذى فقد أهم شروط القضاء ونحو ذلك . فجميع حكام المسلمين فى أرض الإسلام اليوم حكام ضرورة . وعلم مما تقدم أن من تقلد العمل الحربى لأجل أن يعيش براتبه فهو ليس من أهل الرخصة ، فضلا عن أن يكون من أصحاب العزيمة . والله أعلم .

(**تنبيه**) دار الحرب بلاد غير المسلمين وإن لم يحاربوا . وكانت القاعدة أن كل من لم يعاهدنا على السلم يعد محاربا .

○○○○○

المبحث رقم (٨)

الجنة :

الجنة دار النعيم الأولى للمؤمنين بالله ورسوله وماتوا على ذلك وفيها كما ورد فى الحديث الذى رواه أبو سعيد رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجه البزار والطبرى فى الأوسط . والجنة يدخلها كل من آمن بالله ورسوله وحرمت على كل من لم يؤمن بالله ورسوله ، حيث قال الله تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنٰت تجرى من تحتها الأنهار خٰلدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾ (٩ ـــ التغابن) . وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقٰموا تتنزل عليهم الملٰئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾ (٣٠ فصلت) .

ويوضح ذلك قول النبى عليه الصلاة والسلام فى الأحاديث الآتية :

(١) عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى آت من ربى فأخبرنى أو قال بشرنى أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال : إن زنى وإن سرق » أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول انظروا من وجدتم فى قلبه حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها جماً قد امتحشوا فيلقون فى نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت

الحبة إلى جانب السيل أَلَمْ تَرَوْها كيف تخرج صفراء ملتوية » متفق عليه .

(٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » أخرجه البخارى .

فيتضح من النصوص السابقة بأن كل من شهد بأن لا إله إلا الله دخل الجنة ، أى مصيره إلى الجنة وإن دخل النار .

(٤) عن المقداد بن عمرو الكندى وهو ممن شهدوا بدراً أنه قال : يا رسول الله إن لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله ، أأقْتله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقتله » قال : يا رسول الله فإنه طرح إحدى يدىَّ ثم قال ذلك بعد ما قطعها أأقتله ؟ قال « لا تقتله » فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قالها » أخرجه البخارى .

(٥) وحديث أسامة بن زيد بن حارثة قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم قال : لما غشيناه قال : لا إله إلا الله قال : فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى فقتلته . قال : فلما قدمنا بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : فقال لى : « يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله » فما زال يكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . أخرجه البخارى .

(٦) عن أنس رضى الله عنه قال : « كان غلام يهودى يخدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فمرض فأتاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال : أطع أبا القاسم ، فأسلم فخرج وهو يقول : الحمد لله الذى أنقذه من النار » أخرجه البخارى :

(٧) عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » أخرجه أحمد فى المسند وفى البخارى لفظ يقارب .

(٨) وقال عليه الصلاة والسلام « من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل

الجنة ، وإن زنى وإن سرق » أخرجه أحمد .

(٩) وقال عليه الصلاة والسلام « من لقى الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ولم تضره معه خطيئة كما لو لقيه وهو مشرك به دخل النار ولم تنفعه معه حسنته » أخرجه أحمد والطبرانى .

(١٠) عن عبادة بن الصامت قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لقى الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة » أخرجه الطبرانى .

(١١) عن أبى موسى قال : أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعى نفر من قومى فقال : أبشروا وبشروا من رواءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة فخرجنا من عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم نبشر الناس فاستقبلنا عمر فرجع بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : يا رسول الله إذا يتكل الناس فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » قال فى مجمع الزوائد رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات .

تعليق :

(١) بدء الكلام يرشد إلى معناه أو آخره ، بين أن المراد بالأمة أمة الدعوة وبالإباء عن الدخول الامتناع عن سلوك جادته الموصلة إليه ، إى من لبى دعوتى ونهج طريقتى واعتصم بالكتاب والسنة فقد تدرع بأقوى جنة وتبوأ خير دار له فيها نعيم مقيم ومن أدبر وتولى وشرد شراد البعير فقد أبى وحسبه جهنم وبئس المصير .

(٢) ومن أنقذ من النار دخل الجنة .

○○○○○

المبحث رقم (٩)

الجماعة

الجماعة فى اللغة العدد الكثير من الناس الذى يجمعهم غرض واحد . والجماعة فى الشريعة الإسلامية من كان على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مهتدياً بسنته ومفهوم الجماعة كمفهوم الأمة بينها عموم وخصوص فتارة تأتى بمعنى العموم :

١ ـــ كقول النبى صلى الله عليه وسلم : « فمن فارق جماعة المسلمين فقد اتبع الشيطان ومرق من الدين » متفق عليه .

٢ ـــ عن ابن عباس رضى الله عنهما : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإن من فارق الجماعة شبراً فمات ، مات ميتة جاهلية » متفق عليه .

٣ ـــ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس والثيب الزانى والمارق من دينه التارك للجماعة » أخرجه البخارى .

٤ ـــ عن أبى هريرة رضى الله عنه « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ومات ، مات ميتة جاهلية » أخرجه مسلم .

٥ ـــ فيما رواه ابن عباس رضى الله عنهما : « من فارق الجماعة شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود وابن ماجه والترمذى والنسائى .

٦ ــ « فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض » أخرجه النسائى وأحمد .

٧ ــ عن أسامة بن شُرَيْك رضى الله عنه قال ، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « يد الله على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان ، كما يختطف الذئب الشاة من الغنم » الطبرانى فى الكبير وابن قانع فى الإفراد وأبو نعيم فى الحلية .

٨ ــ ويدل على أن المقصود بالجماعة ، جماعة المسلمين رسالة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى صاحب البحرين حيث قال : « ولَتدْخُلن فى الجماعة » ويعنى به جماعة المسلمين (انظر الرسالة الموجهة لهلال صاحب البحرين ص ١٥٦ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة لمؤلفه محمد حميد الله) .

٩ ــ ويتبين من هذه الأدلة التى تبين الجماعة بأنها أمة الإسلام وهذا ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه . والسنة هى الهدى النبوى الذى عرَّفه العلماء وهو كل ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قول أو فعل أو وصف أو تقرير ــ وليست السنة كما هو متعارف عندنا اليوم بمذاهب أهل السنة ، كمذهب المالكية ، والأحناف ، والشافعية ، والحنابلة ومن كان على أصولهم هى السنة لأن المذاهب لم تبرز إلا فيما بعد القرن الثالث الهجرى بل والسنة كل من كان مهتدياً بما صح من السنة النبوية .

١٠ ــ والجماعة المقصود بها جماعة المسلمين وكل من خالف هذا التعريف عالماً بما هو من الدين بالضرورة غير متأول فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه ، وقال ابن تيمية فى العقيدة الواسطية بأن الجماعة المتبع لسنة النبى .

وثانياً : تأتى بمعنى الخصوص كقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « اتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذَّ شذ فى النار » أخرجه الترمذى .

٢ ــ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يد الله على الجماعة والشيطان مع من خالف الجماعة يركض » أخرجه الترمذى والنسائى وحسنه الطبرانى فى الكبير .

٣ ــ وعن أنس رضى الله عنه ، من حديث طويل قال : أمر رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم : « بلزوم جماعة المسلمين » أخرجه أحمد والبخارى ترجمة وكذا الترمذى وابن ماجه والنسائى والدارمى .

٤ — وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » أخرجه أحمد والطبرانى .

٥ — وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه من حديث طويل : « وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة » أخرجه أحمد .

٦ — وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : عن أبى هريرة « الشيطان يهم بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم » أخرجه مالك فى موطئه والديلمى .

٧ — وعرف الإمام أحمد بن حنبل الجماعة بالتعريف الخاص ، حيث قال (الجماعة هم السنة والجماعة والأثر) والأثر أقوال الصحابة المبينة لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٨ — ولقد بين ابن القيم فى إعلام الموقعين فى الجزء الثالث صفحة ٣٩٧ — الجماعة الخاصة والشاذين عنها وشذوذهم عنها ليس خروجاً من الملة بل خروج من جماعة المسلمين بالمعنى الخاص ، وننقل هنا قول ابن القيم بنصه ففيه الكفاية لإيضاح المقصود :

النص

وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد ، وإن كنت وحدك ، فإنك أنت الجماعة حينئذ ، ذكرهما البيهقى وغيره .

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم ، فقال : أتدرى ما السواد الأعظم ؟ هو محمد بن أسلم الطوسى وأصحابه . فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور . وجعلوهم عياراً على السنة ، وجعلوا السنة بدعة ، والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم فى الأعصار والأمصار ، وقالوا : من شذَّ شذ الله به فى النار ، وما عرف المختلفون أن الشاذ

ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم فهم الشاذون ، وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل[1] إلا نفراً يسيراً ، فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون[2] ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة : يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق ؟ فلم يتسع علمه لذلك : فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل ، فلا إله إلا الله ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، وهى السبيل المهْيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا الله ، مضى عليها سلفهم ، وينتظرها خلفهم . **﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾** ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . (انتهى) .

ويتبين من هذا المبحث بأن الجماعة تأتى بمعنى العموم وبمعنى الخصوص :

فبمعنى العموم : فكل من فارق جماعة المسلمين ، أى فارق الإسلام فقد خلع عن ربقته ملة الإسلام وعهده وانتقل من أمة الإجابة إلى أمة الدعوة فيستتاب وتزال من ذهنه الشبهة التى ردته عن الإسلام وإن لم يتب فيقتل ردة لما توضحه الأدلة الواردة فى هذا المبحث .

وبمعنى الخصوص : فمفارق جماعة المسلمين أى ما اجتمع عليه السواد الأعظم من المسلمين أصحاب الحق وهم من كانوا على ما أجمع عليه أئمة المسلمين ، ويسمى مخالفهم مبتدعاً وليس منتقضاً عن الإسلام كما هو فى دليل العموم ولم يخرج من دائرة أمة الإجابة .

فرع : حديث لا تجتمع أمتى على ضلال :

ويبين أن المخالف للجماعة من أمة الإجابة وليس خارجاً عنها ، وأن أمة الإجابة لا تجتمع على ضلالة كما بينه العجلونى فى كشف الخفاء ونصه كالآتى :

---

(١) فى محنة خلق القرآن .

(٢) ولم يقل أحد بخروجهم من الإسلام ، فشذوذهم مخرجهم من الجماعة فقط .

عند قوله فى حديث « لا تجتمع أمتى على ضلالة » رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وابن أبى خيثمة فى تاريخه عن أبى نضرة الغفارى رفعه فى حديث « سألت ربى ألَّا تجتمع أمتى على ضلالة فأعطانيه » والطبرانى وحده وابن أبى عاصم فى السنة عن أبى مالك الأشعرى رفعه « أن الله أجادكم من ثلاث خلال : ألا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً ، وألا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وألَّا تجتمعوا على ضلالة » ورواه أبو نعيم والحاكم ، وأعله اللالكائى فى السنة ، وابن مندة ، ومن طريقه الضياء عن ابن عمر رفعه « أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً وأن يد الله مع الجماعة ، فاتبعوا السواد الأعظم ، فإن من شذ فى النار » وكذا عن الترمذى لكن بلفظ « أمتى » ورواه عبد بن حُميد وابن ماجه عن أنس رفعه « أن أمتى لا تجتمع على ضلالة ، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » ورواه الحاكم عن ابن عباس رفعه بلفظ « لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة » والجملة الثانية عند الترمذى وابن أبى عاصم عن ابن مسعود موقوفاً فى حديث « عليكم بالجماعة ، فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة » زاد غيره « وإياكم والتلون فى دين الله » وبالجملة فالحديث مشهور المتن ، وله أسانيد كثيرة ، وشواهد عديدة فى المرفوع وغيره ، فمن الأول أنتم شهداء الله فى الأرض ، ومن الثانى قول ابن مسعود (إذا سئل أحدكم فلينظر فى كتاب الله ، فإن لم يجده ففى سنة رسول الله ، فإن لم يجده فيها فلينظر فيما اجتمع عليه المسلمون ، وإلا فليجتهد) انتهى . انظر الحديث رقم ٢٩٩٩ فى الصفحة رقم ٤٧٠ الجزء الثانى من كتاب كشف الخفاء للعجلونى . ويوضح ذلك ماروَاه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب قال : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم .

فالحق كل ما كان موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله أو ما وافق كتاب الله أو سنة رسوله من إجماع المسلمين أو اجتهادهم قياساً على كتاب الله وسنةرسوله منطوقاً أو مفهوماً كما أوضح ذلك عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيما تقدم . وما سوى ذلك فهو ابتداع إلا أنه تعتريه الأحكام الخمسة أى الوجوب ، والحرمة ، والاستحباب ، والكراهة ، والإباحة ، انظر كتاب السنة والبدعة للبنيد / عبد الله بن محفوظ الحداد .

المبحث رقم (١٠)

الزنادقة

الزنادقة هى نحل من نحل الملحدين عرفت ما قبل الإسلام فى الفلسفة الزرتشية الزردشتية والمانوية والثنوية ، وجدد الدعوة للزندقة فى عصر الدولة العباسية ابن الراوندى وبشار ودعا لها كثير من بعدهم فى المشرق والمغرب إلى يومنا هذا . ومرتكز هذه الدعوة الإلحاد وأتباع هذه الدعوة فى النار ، للأدلة الآتية ، والزنادقة فى اللغة ، قال الجوهرى فى الصحاح (الزندقة من الثنوية ، وهو مُعرَّب ، والجمع الزنادقة) وقال ابن منظور فى لسان العرب : (الزنديق القائل : ببقاء الدهر ، فارسى معرب ــ زندكر ــ أى يقول ببقاء الدهر ، وذكر فى المعجم الوسيط (تزندق : صار زنديقاً ، والزندقة القول بأزلية العالم وأطلق على الزردتشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية وتوسع فيه فأطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد والزنديق من يؤمن بالزندقة معرَّب ــ زنْدِكراى ــ .

وعندما خلق الله سبحانه وتعالى أبا البشرية جمعاء سيدنا آدم ووضع ذريته فى صلبه وأشهدهم على الإيمان به وألا يلحدوا به ولا يشركوا ويخلصون له العبادة وحده عز وجل إلى أن يأتى بالأرض ومن عليها يوم الجزاء والحساب ، حيث بين ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيٰمة إنا كنا عن هذا غافلين ۞ أو تقولوا إنما أشرك ءاباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** ۞ (١٧٢ : ١٧٣ الأعراف) .

وبيَّن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا العهد الذى أخذه الله تعالى على ذرية بنى آدم وبيَّن أن المركوز فى فطرتهم هو الإسلام ، حيث قال

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجسانه » رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ولكن إبليس لعنه الله لَبَّس على كثير من بنى آدم وجعلهم ينكرون وجود الله تعالى ، فقد عرفت هذه الدعوات من قبل البعثة المحمدية كدعوة[1] ـــ الزَّرْدَشتية فى القرن السابع والسادس قبل الميلاد ـــ وهى نسبة إلى زردشت بن يورشب الذى ظهر فى عصر كَشْتَاسِبْ بن كهْراسِبْ الملك الفارسى ، وتجعل هذه النحلة من مبادئها النور والظلمة ، وقال لم يمتزجا ، لما كان وجود العالم ، وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر .

ولزرادشت كتاب ألفه ويسمى (زند أوسنا) ويقسم العالم إلى قسمين الروحانى والجسمانى ، ويقسم أيضاً تقسيم آخر يسميه (التقدير والفعل) وكل واحد مقدر على الثانى .

ومعبوده (أورمزد) ـــ انظر كتاب الملل والنحل الجزء الأول للشهرستانى .

(٢) المانوية : فى القرن الثالث الميلادى[2]

وممن انتهج الزندقة المانوية ، وهى نسبة لمانى بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى عصر الملك سابور بن اردشير ، وهو بعد عصر المسيح عيسى ابن مريم .

ومبادئها النور والظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا ، ولن يزالا ومن مبادىء المانوية :

(أ) دفع عُشر الأموال .
(ب) وأربع صلوات فى اليوم والليلة :
(ج) الدعاء إلى الحق .
(د) ترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسمر .
(هـ) ترك عبادة الأوثان .
(و) وأن يأتى على ذى روح ما يكره أن يُؤتى إليه بمثله .

انظر كتاب الملل والنحل للشهرستانى الجزء الأول .

---

(١) الموسوعة الثقافية .

(٢) الموسوعة الثقافية .

(٣) المزدكية :

وهى نسبة لمزدك الذى ظهر فى عهد قباذ والد انوشروان ، ومبادىء المزدكية كمبادىء المانوية فى الكونين والأصلَيْن . ومن تعاليم مزدك النهى عن المخالفة والمباغضة والقتال . ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهما فى الماء والنور والكلإ ، وحُكى عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة ، وكل هذه الفرق فى النار وكل من حذا حذوها إلى قيام الساعة ، كما دلت عليه الأحاديث الآتية :

١ ــ مارواه ابن النجار وصححه الحاكم بلفظ غريب وهو : « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة » وفى رواية للديلمى « الهالك منها واحدة » قال العلماء هى الزنادقة .

٢ ــ وذكر بهامش الميزان عن أنس رضى الله عنه بلفظ « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة » وفى رواية عنه أيضاً « تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إنى أعلم أهداها : الجماعة »انتهى . وبهامش الميزان كما ذكره إسماعيل العجلونى فى كشف الخفاء بأنه مذكور فى تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر ولفظه :

٣ ــ « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة وهى الزنادقة » أسنده عن أنس ، قال وأخرجه أبو يعلى .

٤ ــ ويشهد له من الحديث الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » أخرجه البخارى .

والزنادقة يأبون دعوة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ويتبعون كل زاعق وناعق وضال ، وبهذا يكونون من أهل النار .

فرع : الزنادقة فى عصر الدولة العباسية :

وفى عصر الدولة العباسية ، أطلت الزندقة برأسها مرة أخرى عندما عمل كثير من الزنادقة على ترجمة ونشر كتب الزنادقة المانوية والمزدكيين كابن المقفع(1) وغيره ممن استهوتهم الزندقة لكى يشبعوا غرائزهم الحيوانية ، ومن دعاتها : أبو العلاء المعرى(2) وبشار بن برد(3) ثم جسدها بالدعوة الصريحة ابن الراوندى(4) الذى كان متأثراً بشيخه أبى عيسى(5) الوراق شيخ الزنادقة وهو يهودى الأصل حيث هاجم فيها الإسلام وجميع الأديان المنزلة ، وهو يذهب إلى أن العقائد الدينية لا يُسَلِّم بها العقل ولذلك يجب إنكارها وأن المعجزات التى تنسب إلى الأنبياء بدع محض وأن القرآن ليس كتاباً منزلاً بحال وهو لا يتسم بالجلال أو بالجمال الذى لا يضارع وأن الأنبياء يمكن تشبيههم بالعرافين والسحرة . ودون فى هذه الموضوعات كتابين ، الأول : كتاب الدافع الذى انتقد فيه القرآن ، والآخر : كتاب الزُّمُرُّد ، وفى هذا الكتاب ينقد ابن الراوندى فكرة النبوة عامة ، ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصة ، وقد تولى الرد على الزنادقة أئمة الإسلام من بينهم : الخياط والجدائى وأبو هاشم والأشعرى وأبو مسهل النوبختى وغيرهم . انظر مروج الذهب للمسعودى ودائرة المعارف الإسلامية وكتاب الزندقة والشعوبية لسميرة مختار الليثى والملل والنحل للشهرستانى واستمر دعاة الزندقة فى دعواهم ، فقد أتى ماركس بدعوته وداروين ومصطفى كمال(6) أتاتورك

---

(1) عبد الله (روزية) ابن رازوية ولد ٧٢٤ ميلادية بجو بفارس وكان أديباً مترجماً قتل بالبصرة عام ٧٥٩ ميلادية .

(2) أبو العلاء المعرى : أبو العلاء أحمد ولد بمعرة النعمان قرب حلب عام ٩٧٣ ميلادية وتوفى فى بلدته عام ١٠٥٧ ميلادية ــ وكان فيلسوفاً شاعراً نباتياً يعد من الزنادقة .

(3) بشار بن برد ولد عام ٧١٤ م بالبصرة وقتل بها عام ٧٨٤ م وكان شاعراً وخطيباً وكاتباً اشتهر بالهجاء والخلاعة والزندقة .

(4) هو أبو الحسن أحمد بن إسحق ٨٢٠ ــ ٨٥٩ م متكلم ثم ألحد وتزندق وهاجم الإسلام .

(5) محمد بن هرون الوراق توفى عام ٨٦١ م متكلماً زنديقاً مانوياً يتمثل فكره فى كتابه (المشرق) النوح على البهائم .

(6) مصطفى كمال أتاتورك أى أبو الأتراك كما أطلق على نفسه واشترك فى ثورة حزب تركيا الفتاة ضد الخلافة العثمانية وأسقط الخلافة سنة ١٩٢٢ م وأعلن الدولة العلمانية فى تركيا واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية فى اللغة التركية وسلخ تركيا عن الإسلام وألغى الشريعة الإسلامية واستبدل بها الأنظمة الغربية ، توفى عام ١٩٣٨ م وهو يهودى الأصل .

وجورجى زيدان ، وسلامة موسى[١] ، وطه حسين[٢] ، وسارتر[٣] ، وميشيل عفلق[٤] ، وجورج حبش[٥] وغيرهم ثم صارت الزندقة تأخذ شكلاً آخر لإلهاء الشعوب وعزلها عن الدين القيم بوضع نظريات الشيوعية[٦] الماركسية والاشتراكية[٧] والديموقراطية[٨] والرأسمالية[٩] والقومية[١٠] والوطنية[١١] .

---

(١) سلامة موسى : كاتب مصرى عرف بإعجابه بالثقافة العلمية الحديثة وبدعوته إلى الأفكار الاشتراكية فى الاجتماع والسياسة والأدب ، اشترك فى تحرير (الهلال) و (البلاغ) والمصور وأخبار اليوم ، أسس المجلة الجديدة ومن مؤلفاته نظرية التطور ، وأحلام الفلاسفة ، وتربية سلامة موسى ، والأدب والحياة ، وكلها تدعو إلى الزندقة ــ وهو نصرانى .

(٢) طه حسين : أديب مصرى عرف بزندقته ودعوته إلى التغريب والاستخفاف بالدين والتشكيك فيه ، انظر كتاب محاكمة فكر طه حسين لأنور الجندى .

(٣) سارتر : كاتب فرنسى زنديق فيلسوف زعيم الفلسفة الوجودية فى القرن العشرين ولد عام ١٩٠٥ م ــ من مؤلفاته (الوجود والعدم) (الوجودية) وله عديد من الروايات تصب كلها فى فكرته الوجودية .

(٤) ميشيل عفلق : نصرانى سورى أسس حزب البعث مع صلاح الدين البيطار ، وهو حزب علمانى قومى فصل الدين عن الحياة ، ومن أهم مؤلفاته كتاب فى سبيل البعث ، ويعيش حالياً ببغداد ويطلق عليه الزعيم المؤسس .

(٥) جورج حبش : نصرانى فلسطينى من مؤسسى حركة القوميين العرب وتدعو هذه الحركة إلى معاداة الإسلام ، وتبنت أخيراً الفكر الماركسى .

(٦) الشيوعية : مصطلح يدعو إلى وضع الملكية فى يد الدولة ، والشيوعية دعوة قديمة والمقصود هنا الشيوعية الحديثة التى تبناها كارل ماركس اليهودى ومن أهم كتبه فى هذه الدعوة الضالة كتاب رأس المال وأعلنت الشيوعية الحديثة وظهرت بعد البيان الشيوعى سنة ١٨٤٨ م ، وسيطر الشيوعيون على السلطة فى روسيا فى ثورة ١٩١٧ م وامتدت إلى بعض دول أوروبا الشرقية والصين والهند الصينية ودعوتها تدعو العمال للسيطرة على السلطة ومحاربة الرأسمالية والأديان وهى دعوة إلحادية .

(٧) الاشتراكية : هى مرحلة أولى للشيوعية بكافة ألوانها سواءً اشتراكية ديموقراطية أو فابية أو عربية أو غيرها من أنواع الاشتراكيات وترفع شعار الكفاية والعدل وتختلف كل اشتراكية عن الأخرى فى مفهومها بتنازع الطبقات ولم تستطع تطبيق شعاراتها فى العالم الإسلامى وثبت كذب تلك الشعارات .

(٨) الديموقراطية : كلمة من أصل يونانى ، معناها حكم الشعب تنصرف إلى كل نظام سياسى يكون الشعب فيه مصدر السلطة وصاحب السيادة ، ومن أنواعها أن يمثل الشعب نواباً عن طريق الانتخابات وأخذت الدولة بعدة مفاهيم من أنواع الديموقراطية المبينة فى الدساتير وقررتها فى دساتيرها .

(٩) الرأسمالية : نظام اقتصادى يقوم على الملكية الخاصة بموارد الثروة ، ويطلق المجال لحريات الأفراد والمشروعات الخاصة . وتأخذ بهذا النظام الولايات المتحدة الأميريكية وبريطانيا واليابان وألمانيا الغربية وغيرها من الدول التابعة للنظام الرأسمالى .

وكل هذه المبادىء لم ينزل الله بها من سلطان وألهت الشعوب والأمم بوثنيات تعبد من دون الله وضلت وأضلت وكل هؤلاء الذين يعتنقون هذه المبادىء إذا علموا بمخالفتها للشريعة الإسلامية مختارين مقتنعين فإنهم من أهل النار للأدلة السالفة الذكر . ولقد تصدى لهؤلاء بالرد كثير من العلماء المسلمين فى مؤلفاتهم العديدة ومنهم : السيد محمد باقر الصدر ، والدكتور محمد البهى ، والشهيد سيد قطب ، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .

وهذه الدعوات خارجة عن الإسلام لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

١ ــ من حديث طويل أخرجه مسلم ، « عن حذيفة بن اليمان ، قال ، قلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » .

٢ ــ ومن حديث طويل آخر أخرجه مسلم عن حذيفة بن اليمان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس » .

٣ ــ وحديث أخرجه النسائى ــ رواه الحارث الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « من دعا بدعوة الجاهلية فإنه من جثى جهنم ، قال رجل : يارسول الله وإن صام وصلى ؟ قال : نعم وإن صام وصلى ، فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » .

✪✪✪✪✪

= (١٠) القومية :الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها ، وتقوم على عنصرين : عنصر موضوعى يتمثل فى الروابط المشتركة التى تجمع بين أفراد شعب هذه الأمة كالاشتراك فى الأصل أو اللغة أو العقيدة ، وعنصر معنوى أوشعورى يتمثل فى الحالة النفسية التى يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالوحدة بناء على هذا الانتماء ظهرت حركة القوميات فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر وانتشرت فى العالم الإسلامى فى خلال القرن العشرين ، ومن أهم الدعوات للقوميات : القومية العربية .

(١١) الوطنية : هى دعوة تعصبية لقطر أو إقليم متطورة عن التعصب القبلى الذى نهى عنه الإسلام عندما قال : لا عصبية فى الإسلام وقد يقول القائل أن هناك حديثاً (حب الوطن من الإيمان) قال الصنعانى : حديث موضوع . انظر كشف الخفاء .

خلاصة البحث

إن هذا المبحث يوجز ما سبق بيانه فى المباحث العشرة الواردة فى جزئيات الأحاديث فى افتراق الأمة ونظراً لطول هذه المباحث وتشعبها أردت أن أوجز هذه المباحث فى النقاط الآتية حتى يسهل على القارىء استخلاص النتيجة المقصودة من الكتاب :

١ ــ لقد عملت فى المقدمة على بيان ضرورية الرجوع فى كل قضية من قضايا أمتنا الإسلامية بالاحتكام لكتاب الله وسنة رسوله لأنها الفصل فى كل قضية اختلف فيها ، وأوضحت فى ذلك أقوال العلماء من أئمة الإسلام من صحابة وأئمة مجتهدين فى القضايا التى ورد الاختلاف فيها بينهم وبين غيرهم حيث أرجعوا خلافهم لقول الله فإن لم يجدوا ففى سنة رسول الله ، وغاية كل مجتهد الوصول إلى الحق المؤدى لرضا الله ، وفصلت فى المقدمة ذلك بسرد عديد من النقول فلتنظر .

٢ ــ إذا لاحظ القارىء نقداً لبعض أقوال العلماء المصنفين من شراح هذه الأحاديث أو كُتَّاب فى الفرق والملل فإن نقدى لهم نقد يحفظ لهم مكانتهم العلمية وبينت هذا النقد بالدليل وهؤلاء أئمة وعلماء مجتهدون فمن أصاب منهم له أجران ومن أخطأ فله أجر ، والخطأ جار على البشرية لأنه من جبلتهم وللعلماء كثير من الهفوات ولعل أقوالهم بجعل التفرق فى هذه الأحاديث واقع فى أمة الإجابة من هفوات العلماء ، وقد وردت هفوات لعلمائنا فى عديد من الأحكام فضلاً عن غيرها من التفاسير والشروح التى لا تخضع لقواعد ، واستدلالات محددة ، انظر فى ذلك ما كتبته فى موضوع من كتب من العلماء فى افتراق الأمة والنقول المبينة فى ذلك .

٣ ــ بينت فى مبحث سبب تدوين هذا المصنف مدى خوفى على أمة الإسلام من الفرقة بينهم واستغلال الأعداء لفتنتهم وأن يبْلوا المسلمين بعضهم

بعض كما بلَوْا أمتنا فى القرون السابقة وجعلوها تصطلى بنار الحروب بين المذاهب الإسلامية بعضها البعض فى شتى أنحاء العالم الإسلامى حتى التقى المسلمون بسيوفهم وقتل بعضهم البعض ويُتِّم الأطفال ورملت النساء وهدمت البلدان والقرى ولم يحصل المسلمون من وراء هذه الحروب الطائلة التى طحنتهم سوى الخزى والعار والنار ، وأقرب مثال لهذه الحروب المذهبية ما وقع فى اليمن بين الشافعية والزيدية وما أشبه الليلة بالبارحة ، فلنحذر من أعدائنا الذين ينفخون فى نار الفتنة بأفواههم ولنتبع أمر ربنا القائل : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ وقول النبى : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ولنحذر مما حذرنا منه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من الفرقة وتوجيه سلاحنا لبعضنا البعض ، فى قوله : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

٤ — لقد بذلت جهدى فى جمع الأحاديث الواردة فى افتراق الأمة من كتب الأصول وأوردتها مبينة بأسانيدها وذكر تصحيحها حتى يطمئن القارىء من مكانة هذه الأحاديث ، ثم بينت ما وردت من أحاديث فى نفس الموضوع من غير كتب الأصول واكتفيت بإيراد النص مع ذكر قول من صححها ولم أورد أسانيدها خشية الإطالة ولعدم معرفة بعض رجال هذه الأسانيد من قبل عوام الأمة ولم يفقهها إلا المتخصصون وبِعَزْو التصحيح للكتاب فيه الغنية ، والمتخصص إن أحب الرجوع إلى الكتاب للوقوف على سند الحديث فليرجع له ليطمئن به قلبه ولكل مجتهد نصيب .

٥ — لقد وصلت من خلال بحثى للموضوع فى كتب شروح هذه الأحاديث كتب الفرق وكتب من كتب فى العقائد كابن تيمية وغيره إلى قناعة كاملة بأن الفرقة الواردة فى الأحاديث واقعة فى أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، وهذه الأحاديث تبين أن البشرية جمعاء أمة نبينا محمد من يوم بعثته إلى قيام الساعة ولا نبى بعده وأن أمته تنقسم إلى قسمين : أمة دعوة وأمة إجابة فمن لَبَّى بكلمة التوحيد كان من أمة الإجابة ومن أعرض عنها فهو مطالب بها إلى أن يموت وهو من أمة الدعوة ، وكما لا يخفى على كل من علم أوليات أحكام الإسلام بأن ملة

الكفر ملة واحدة وملة الإسلام ملة واحدة والحق واحد والتعدد واقع فى ملة الكفر لا أمة الإجابة لقوله تعالى : ﴿ **وأَنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فَتَفَرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصّـكم به لعلكم تتقون** ﴾ .

٦ ـــ ثم بينا فى المبحث الأول أصل اسم اليهود أو بنى إسرائيل ومكيدتهم للبشرية ومعاداتهم للإسلام وتحريفهم للرسائل السماوية وقتلهم للأنبياء وكونهم من الخالدين فى النار وأوردنا الأدلة فى ذلك وأنهم أتوا بعد عديد من الأديان لا تقع تحت حصر وبعد من حرفوا زادوا فرقة من الكفر والضلال ويعتبرون من أمة الدعوة ومطالبون بالإسلام فمن لم يسلم منهم ومات فهو خالد فى النار .

٧ ـــ وبينت فى المبحث الثانى ما المقصود من العدد عند قوله عليه الصلاة والسلام سبعون فرقة فالعدد للكثرة لا للتحديد وأوردت فى ذلك أدلة عديدة توضح ذلك ، فلتنظر .

٨ ـــ وبينت فى المبحث الثالث تعريف النصرانية وما اعتراها من انحراف عن ملة التوحيد وكونها الملة الثانية والسبعين من ملل أهل الكفر والضلال بعد أن جعلت المسيح ابن الله وقالت بالأقانيم الثلاثة وجعلوا الصلب والفداء من معتقدهم وعندما أتى نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام لم يؤمنوا به مع علمهم التام بنبوته وظلوا على كفرهم فهم من أمة الدعوة المطالبون بالإسلام إلى قيام الساعة وكل من مات منهم ولم يؤمن بالإسلام فالنار مثواه خالداً مخلداً فيها أبداً سرمدياً كاليهود وسائر الملل الباطلة من وثنيين وعباد نار وكواكب وغيرها ، وبينت الأدلة على كل ذلك فلتنظر .

٩ ـــ وبينت فى المبحث الرابع تعريف الأمة وذكرها فى كتاب الله وسنة رسوله بمعانٍ متعددة ثم بينت بمقصود الأمة من هذه الأحاديث بأنها أمة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهى البشرية كافة من حين بعثة النبى إلى قيام الساعة وبينت بأن الأمة تأتى بمعنى الخاص وهى أمة الإجابة الذين أجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعوته . وسردت فى ذلك أدلة عديدة من كتاب الله وسنة رسوله وبها يتضح المقصود .

١٠ ـــ وذكرت فى المبحث الخامس تعريف الملة عند أهل اللغة ثم ذكرت

بعض الآيات الواردة فيها لفظة الأمة ثم ذكرت المقصود من مدلول هذه الآيات من كتب التفسير وألحقته بفائدتين لتمام الصورة .

١١ ــ وكتبت فى المبحث الخامس إيضاحاً لكلمة الملة فى اللغة ثم سردت بعض الآيات الواردة فيها كلمة الملة ثم أتبعته بإيضاح فى عدة نقاط ملخصه من كتب التفاسير تبين المقصود من الملة فى الآيات .

١٢ ــ وبينت فى المبحث السادس ما أنا عليه وأصحابى ، فعرَّفت من هو الصحابى ثم عرفت الإسلام وسردت الآيات المبينة لجزئيات التعريف ، ثم بينت من هو المسلم وبماذا يحكم عليه بالإسلام وسردت الأدلة على ذلك وبينت الفهم المغلوط الذى يسبق لأذهان بعض الناس من بعض الأدلة فى الإسلام والكفر .

١٣ ــ وبيَّنْتُ فى المبحث السابع ــ النار ــ بأن النار فى هذا الحديث مقصود بها المخلد فيها لا مَنْ وجبت له بسبب ذنب وبينت المخلدين فى النار وهم المشركون والكفار بالأصالة والمرتدون وكل من أنكر ما كان من الدين بالضرورة وأصر على نكرانه بعد توضيح الأمر له ، ثم بينت الكفر ومتى يكفر الحاكم المسلم ومتى يجوز الخروج عليه ثم بينت متى يكفر المسلم وسقت فى ذلك الأدلة الواردة فى هذه الموضوعات من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الأئمة ، ثم أتبعته بإيضاح لبعض الأدلة التى يسبق لذهن بعض الناس أن المسلم يكفر بها وجعلت بعد ذلك ملحقاً فى مسألة من لم يحكم بما أنزل الله أولئك هم الكافرون فتوى للأستاذ رشيد رضا ففيها الغنية فلتنظر .

سقاف على الكاف



رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩/١٥٦٥

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
ت : ٧٧٣٢٢١